حركة امل
مكتب العقيدة والثقافة



سلسلة محاضرات
سماحة الأمام السيد موسى الصدر

حركة المحرومين

الولادة - ظروف النشأة - الابعاد




للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research


حركة المحرومين


Umam
للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

حركة أمل
مكتب العقيدة والثقافة

سلسلة محاضرات
سماحة الأمام السيد موسى الصدر

حركة المحرومين

الولادة - ظروف النشأة - الأبعاد


umam
للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

في ليل الظلم والقهر ، ومن عذابات المشايعين لآل بيت النبوة ، ومع تراكم المئين من السنين على الصلب والتقتيل والتشريد ، ومن تراكض الظن والشبهة ، لتطبق على كل من البس تهمة التشيع .. خرج الينا ومضة في الرجاء ، وارتعاشة في الامل .

وكما هي ايدي الملائكة ، تطرح الطفل محمد بن عبدالله ، فتشق صدره وتشج رأسه ، لتنزع منه ما رمزت اليه الروايات بجزيئة من الدم الاسود ، ولم يعرف في يفاعته وفتوته وشبابه الا بالصادق الامين ، كذلك طلع علينا الامام الصدر ليستل من صدورنا الاستكانة ومن نفوسنا القلق ومن عقولنا الترسبات ، ليصفو داخلنا على الحرية التي رانت عليها الاحداث، وما كانت لتبقى مختزنة في ذواتنا ، لو لم نكن ممن رحمه الله باحياء امر آل بيت نبيه .

وقد هال رِبائب الهزائم العربية ، وقد ادمنوا خدر الذل ، ان تنتفض الحرية ، فتكشح الهوان ، فغيبوه في ظلمة نفوسهم ، وما وعوا اننا شعب الانتظار ، يشهد مواقعنا من في اصلاب الرجال وأرحام النساء ، حتى يحين زمان تملأ فيه الارض قسطا وعدلا بعدما ملئت ظلما وجورا .

دروس الامام القائد ، نيازك تفلتت من عتمة الايام ، لترسم المعالم على طريق الشهادة ، ولم يكن التحرير لو لم تكن . وها نحن نطرحها من جديد ، امام نشئه الجديد ، والمعركة لا زالت قائمة مع صهاينة الخارج وصهاينة الداخل .

٣ جمادى الاول ١٤٠٦ هـ — وامل بنصر الله

١٣ كانون الثاني ١٩٨٦ م — مكتب العقيدة والثقافة



حركة المحرومين
(الولادة ، ظروف النشأة ، والابعاد)

مقدمة بسيطة : نحن في ميثاقنا ، الايمان بالله – المادة الاولى – والتراث يوجهنا ، والانسان نؤمن به وبكرامته ، والظلم نرفضه بانواعه السياسية والاجتماعية والاقتصادية والمحلية والعربية والعالمية . ثم ان المحاضرات التي جرت والكتب التي كتبت اوحت الى شبابنا ان يكتبوا الدروس الثقافية التي اصبحت اربعين وموزعة بين الاخوان . انا بدأت آخذ هذه الدروس ، واضيف اليها ، وكما قلت في الاسبوع الماضي ، اقدم لكم درسين كل اسبوع يطبعان ويوزعان على الخلايا . طبعا ، الدراسة الزامية قانونية للحركة .

نرجو انه خلال اربعين درسا تتكون الثقافة الذاتية للحركة انطلاقا مما قرأتم حتى الان بشكل منسق ، وننفتح على الثقافات الاخرى كما كان في بداية الاسلام عندما وصل المسلمون الى درجة عبر عنها القرآن « اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون » ٠

بعد هذه الآية نقول : « اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » ، ثم نصل الى هذه الآية : « وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم » ٠ يعني بعد اكتمال الشخصية الاسلامية ، لا مانع من العشرة مع اهل الكتاب ٠ اذن ، نحن بصدد اكتمال الشخصية الحركية ، يعني الثقافة الحركية ٠

في البداية ، البحث الاول الذي سيكون اربع او خمس دروس : ولادة حركة المحرومين ، وظروف نشأتها ، وابعادها التاريخية والجغرافية بما في ذلك الحلفاء في لبنان وفي العالم العربي وفي العالم ٠

حركة القواعد والقيادات

ان حركة المحرومين في لبنان ولدت رغم لا طائفيتها ـ نحن نقول في ميثاقنا اننا لسنا طائفيين ـ في قلب الطائفة الاسلامية الشيعية وبرعاية القيادات

والمؤسسات الرسمية الدينية .

الحركات عادة تنطلق من القواعد بينما حركة المحرومين انطلقت من القواعد والقيادات معا وهذا له سبب . السبب للمفارقتين :

حركة لا طائفية تنطلق من قلب الطائفة ، وحركة شعبية تنطلق من مشاركة القيادة الرسمية نفسها ، ويعود السبب في ذلك الى عوامل عديدة علينا ان ندرسها :

١ ـ الوضع الاجتماعي والسياسي في لبنان .

٢ ـ موقع الطائفة الاسلامية الشيعية في لبنان والعالم العربي .

٣ ـ العوامل التاريخية ، اي التراث والمفاهيم الدينية المتطورة : مفهوم الايمان ومبدأ الاجتهاد لدى هذه الطائفة .

٤ ـ دور القيادة في بعث هذه الحركة .

ونجد في هذه الدراسة خطوطا عريضة للعوامل الاربعة هذه ومقارنتها ، ونحيل الراغبين في الاحاطة اكثر بالعودة الى المصادر . هذه الدراسات الزامية للحركة ، والتفاصيل اختيارية ، وانما الزامية للكوادر طبعا . ومصادر الدراسة ستقدم ككتب للاخوان .

اولا : الوضع الاجتماعي والسياسي في لبنان ٠

ارجو الانتباه ٠ في سنة ١٩٢٠ ولد لبنان الكبير برعاية وانتداب فرنسا ، من قبل الامم المتحدة التي كانت مهتمة بتصفية تركة الامبراطورية العثمانية ٠ في هذه السنة التي تأسس فيها لبنان الكبير انضمت الى جبل لبنان الاقضية الاربعة : بيروت ، طرابلس ، بعلبك ـ الهرمل ، الجنوب ، وسميت جميعها « لبنان الكبير » ٠ وكانت فرنسا هي الدولة المنتدبة من قبل الامم المتحدة لادارة شؤون هذه المنطقة ٠

ليست جديدة عليكم هذه الامور ، ولكن تسلسل الاحداث به فائدة كبيرة في فهم ولادة الحركة ٠

بولادة لبنان الكبير كانت نهاية العهد الذي استمر منذ ١٨٦٠ وفيه كان لجبل لبنان ، بقضائيه الماروني والدرزي من ١٨٦٠ الى ١٩٢٠ ، استقلال داخلي يحمى من قبل الدول الاوروبية : بريطانيا ، فرنسا ، المانيا ، النمسا ، وروسيا ٠ هذه الدول الخمس ، كانت بموجب اتفاقية جرت في استنبول مع الحكومة العثمانية ، تحمي استقلال جبل لبنان ٠ هذه الاتفاقية ، في الواقع ، فرضت على العثمانيين لان الاستعمار الاوروبي الناشئ كان يفتش عن قاعدة في هذه المنطقة اذ ان اسرائيل لم تكن بعد قد وجدت ، وكان لبنان الحلقة الاضعف ٠

١ ـ وضع اليد على جبل لبنان والهجرة :

فمن حوالي اواسط العشرينات بدأوا يدفعون باتجاه الخلاف الطائفي في لبنان بين الدروز والموارنة ٠ وقامت عدة جولات وقتل فيها الالاف الى ان كانت الجولة الاشد والاعنف في نهاية ١٨٥٩ واوائل ١٨٦٠ ٠

في سنة ١٨٦٠ دخلت جيوش هذه الدول الخمسة الى جبل لبنان وفرضت اتفاقية على العثمانيين بان يكون لجبل لبنان استقلال داخلي ٠

اذن ، الاستعمار الاوروبي حرك الخلافات الطائفية ، واولئك الذين كانوا ينادون بالدين وبالخلافات الدينية وبالدخول الى الجنة من اجل الدين كانوا ينفذون افكار الشيطان وافكار عدو الله ٠ دائما الخلافات الطائفية هي كذلك : لا ترضي الله سبحانه وتعالى وهي ليست دعوة الهية ابدا ٠ حركوا الدروز والموارنة ليشتبكوا مع بعض ولما فعلوا وضعوا يدهم على جبل لبنان ٠

في هذه الفترة من ١٨٦٠ ـ ١٩٢٠ كانت الدول الخمس تتنافس على اجتذاب الفئات فكل دولة اوروبية تعتمد فئة ، عشيرة ، **طائفة** ٠

المعروف ان الانكليز كانوا يتحببون الى الدروز ، والفرنسيين والايطاليين كانوا يتنافسون على الموارنة، وقسم من الدول ـ روسيا ـ كانت تعتمد الارثوذكس وهكذا ٠٠

في هذه الفترة ، كل دولة كانت قدمت المساعدات الثقافية للفئة التي تعتمدها حتى كاد ان يتحول جبل لبنان الى قطعة من اوروبا ثقافيا وحضاريا ٠

كثرت الجامعات ، وسمعتم بالمعاهد التعليمية والمستشفيات والمصحات : معهد عينطورة - من حوالي مائة وثلاثين او مائة واربعين سنة وهو مدرسة ثانوية ضخمة جدا وانا القيت محاضرة في قاعتها ودهشت لموجوداتها اذ لا يوجد مثلها في جامعاتنا ٠ الجامعة الاميركية وعمرها حوالي مائة وعشر سنوات ، مصح « بحنس » وعمره حوالي مائة سنة او اكثر ٠٠ زرعوا هذه المناطق بالمؤسسات ورفعت الدول الاوروبية مستوى النخبة من ابناء جبل لبنان في حين كان جمهور الشعب الماروني يعيش فقرا مدقعا اذ اهلكه القحط ، وكان يضطر للهجرة الى الاميركيتين والى افريقيا الغربية وانتم تعلمون ان الهجرة اللبنانية في الفصل الاخير بدأت في اواسط القرن التاسع عشر ابتداء من جبل لبنان ٠

نرى ان المهاجرين القدامى الاولين هم المسيحيون والدروز من جبل لبنان ، اما هجرة الشيعة فقد بدأت في بدايات القرن العشرين ٠ ومن جهة اخرى اعفي اهالي جبل لبنان من دفع الضرائب ومن الخدمة العسكرية للحكم العثماني ٠ وهذه العوامل تتمثل في المثل اللبناني القديم : « نيال من له مرقد عنزة في جبل لبنان » ٠

وقد استفادت الدول الاوروبية مـن ابناء الجبل المسيحيين في شمال افريقيا فعملوا كمترجمين وخبراء للمستعمر الفرنسي ٠ وكانت الهجرة الثقافية الـى مصر وتأسيس الصحف الكبرى في القاهرة : الاهرام والهلال والمقتطف ٠ آل زيدان وعائلات لبنانية ، غالبها من كفرشيما ، اقامت مؤسسات ثقافية كانت السبب في انتقال الادب العربي الى اميركا اللاتينية وتأسيس العصبة الاندلسية هناك ٠ وبرزت المناداة بالقومية العربية ، لمحاربة الحكم العثماني المتشكل بالاسلام ، من قبل ابناء الجبل ، والتفاعل الحضاري والثقافـي بين العروب واوروبا ـ ذلك التفاعل الذي انتشر فـي العالم العربي بواسطة الجامعات والمدارس الموجودة في الجبل ٠

٢ ـ لمحة عن الاقضية :

دام هذا الوضع جيلين رسخ في اثنائها في نفوس ابناء الجبل وخلق عندهم شعورا بالتفوق بانهم كانوا متقدمين ـ تفوق وتقدم حضاري ، بينما برز الشعور القومي العربي لدى الاخرين منهم ٠ في هذا الوقـت ، اي بين ١٨٦٠ ـ ١٩٢٠ ، كان وضع الاقضية الاربعـة يختلف كليا عن وضع جبل لبنان ٠ كان جبل لبنان في هذه الفترة يتقدم بشكل صاروخي ويقترب حضاريـا

وثقافيا من اوروبا ، بينما الاقضية الاربعة الاخرى تختلف : **بيروت وطرابلس** كانتا موضع رعاية العثمانيين باعتبار انهم ابناء مذهب واحد ، واصناف النشاط التجاري بلغت الاوج والمؤسسات الاسلامية الثقافية باسم المقاصد الخيرية تأسست من ايام العثمانيين ٠ البيروتيون والطرابلسيون ، حول بيروت، منطقة اقليم الخروب ٠٠٠ استلموا مهاما رسمية والقابا عثمانية : بيك ـ باشا ٠٠ وكانوا بدورهم يحسون بتفوق معنوي بسبب ارتباطهم بالسلطات ـ بالباب العالي ٠ هذا وضع جبل لبنان والشمال وبيروت وبقي القضائين الشيعيين ٠

اما **البقاع ، بعلبك ـ الهرمل** ، فبسبب الاكثرية الشيعية كان موضع اهمال من الدولة العثمانية التي شجعت فيه النظام العشائري وغاب عنه امن الدولة ، وكانت السلطات العثمانية تساهم في افقار المنطقة وحرق الغابات الكثيفة الموجودة فيها وربما تعلمون ان جبال بعلبك ـ الهرمل كانت مليئة بالغابات والحكومة العثمانية كانت تقطع الاشجار من هذه الغابات لحرقها من اجل تسيير القطارات والسكك الحديد فكنت ترى المحطات مليئة بالاخشاب التي اقتطعت من الاشجار ٠ اي ان العثمانيين لم يكتفوا بعدم خدمة المنطقة وحسب بل وعمدوا الى افقارها ومن جملة الافقار نزع الاحراش من المنطقة ، وتجهيل

الناس ، ورعاية تخلفهم الحضاري ، وتعليم الناس الاخذ بالثأر ، وامثال ذلك • وإلا فهذا امر غريب ، في وسط هذه المنطقة المتحضرة ، ان تتحكم العشائرية •

اما **الجنوب** فكان يعيش الفقر وسيطرة عمال السلطان • شبابه يساقون الى الخدمة العسكرية والى حروب اليمن ـ وكان يسمى « سفربرلك » • والذي كان يذهب الى الحرب كان يودع اهل بيته فهو ذاهب للموت • وكان يعفى من الخدمة العسكرية كل من يدفع ضريبة باهظة ـ خمس وسبعون ليرة ذهبية ـ ولما كان الاهالي لا يملكون فان البعض كان يبيع ارضه • لمن ؟ لآل المملوك ، آل جنبلاط ، آل الاسعد •• للاقطاعيين القدامى والجدد الذين كانوا موجودين في الجنوب •

كان هؤلاء الاقطاعيون يشترون الاراضي وبالتالي اصبح الجنوب فارغا من الشباب من جهة ، واصبحت اراضيه ملكا للاقطاعيين الجدد من جهة اخرى ، وتعطلت مدارس جبل عامل في حناويه ، عيتا الزط ، النبطية ، حبوش ، العباسية ••• في كل بلد كان هناك جامعة صغيرة فالجامعات الدينية وعلماء جبل عامل معروفون • وكان هناك رئيس جامعة دينية صغيرة في حناويه وهكذا في كل بلد ، وآخرهم مدرسة بيت حسن يوسف السيد ، حسن يوسف مكي في النبطية وكان استاذ الشيخ احمد رضا والشيخ سليمان

ضاهر والشيخ احمد عارف الزين وهؤلاء كونوا النهضة العاملية الاخيرة .

عم الجهل والتخلف ، وفتك بعض الولاة العثمانيين - احمد الجزار - بالعلماء ، ومن جملتهم جدي طبعا ، واحرقوا كتبهم وطردوا كبارهم وساد الظلم والاضطهاد وبدأت الهجرة . ويقال ان افران عكا اشتغلت اسبوعا كاملا باحراق كتب علماء جبل عامل .

اذن ، جبل لبنان يطلع للقمة ؛ طرابلس وبيروت تجارة واتكالية ؛ والجنوب والبقاع ينزلان الى الحضيض . بهذا التفاوت العميق بين المناطق الخمسة شكل لبنان الكبير بعد الحرب الكونية الاولى ، وفي هذه الظروف المتباينة اسست فرنسا الاستعمارية الدولة الجديدة .

وتمكن ابناء الجبل ، ولا سيما الموارنة ، من خلال الظروف الثقافية والعلاقات المتينة مع اوروبا ، من ان يحتفظوا بالمراكز الاساسية في الدولة . ويبدو بوضوح في الوثيقة الاساسية ان لبنان الكبير هو جبل لبنان والاقضية التابعة له ولذلك اسمه لبنان .

في الواقع ، الاقضية الاربعة اقمار حول الشمس - حول جبل لبنان - هذه هي العقلية التي سادت . اي ، ان الاقضية الاربعة مزارع تابعة لجبل لبنان . طبعا فترة الحماية الاوروبية كان لها تأثير في ارتباط ابناء الجبل باوروبا والعالم دون العالم العربي لانه

ايضا ، كان خارجا من الاستعمار وكان تحت الحماية الانكليزية ـ الفرنسية في ذلك الوقت . هذا الربط كان يشجعهم على الامساك بأزمة الحكم وعلى شعورهم بالانتماء الغربي

٣ ـ عهد الاستقلال :

وفي زمن الاستقلال ، تنازل ابناء الجبل عن الانتماء الاوروبي مقابل تنازل الاقضية الاربعة عن الوحدة العربية ، فكما يقولون ، نفيان اسسا الميثاق الوطني : بالنسبة للمسيحيين عدم الانتماء للغرب ، وعدم الوحدة مع العرب بالنسبة للمسلمين . هذا اساس الاستقلال عام ١٩٤٣ ، اي بعد الحرب الكونية الثانية .

مع العلم ان فترة الانتداب اسست امتيازات الموارنة وابناء جبل لبنان وكرست سيطرتهم وبالتالي كانت السبب في خلق النظام الطائفي الذي نعيشه اليوم ، والغاية الحقيقية منه ابقاء الوجود السياسي المميز للطائفة المارونية وعدم ذوبانه .

طبعا ، الواقع ان النظام الطائفي : رئيس الجمهورية ماروني ورئيس الوزراء كذا ورئيس المجلس كذا .. هذه امور كانت في الواقع عبارة عن الحفاظ على الامتيازات التي تمسكوا بها في اثناء

الفترة ١٨٦٠ ـ ١٩٢٠ · ولكنهم كانوا يعطـون بعض المبررات · مثلا ، كانوا يقولون ان الاقليات في العالم العربي مضطهدة وان الاكثرية الاسلامية لا تسمـح للكفاءات ان تبرز وان تتسلم المراكز الاساسية ، **هذا اولا** · والحقيقة ان مسألة الاقليات لو صحت في الغرب فهي ليست صحيحة اطلاقا في العالم الاسلامي حيث يحمي الاسلام بقوة كافة الاقليات المؤمنة بالله ويشهد التاريخ ان الكفاءات اليهودية والنصرانية في العالم الاسلامي كانت موضع اهتمام واحترام ·

ثانيا ، كانوا يقولون ان الطـوائف الاسلاميـة الموزعة في المناطق هي متفاوتة المستوى ، ولذلك يجب وجود نظام ديمقراطي ليبرالي · والنظام الديمقراطي استباق بين ابناء الشعب ولا يمكن ان يكون نظامـا عادلا لان الفرص المتوفرة للناس متفاوتـة وليست متكافئة · لذلك لا بد من وجود تقسيم لهيكل الدولة بين الطوائف ـ هيكل تتقاسمه الطوائف ، واعتبـار النظام نظام تحالف بين الفئات الطائفية التي هـي بمنزلة الاحزاب في البلاد · لكن الذي حصل ان الهيكل تقاسمه زعماء الطوائف فكنت ترى ان الزعيم الشيعي او الزعيم السني يأخذ خمسة مراكز مثلا فيبحث بين اقاربه عن اناس يوليهم هذه المراكز الاساسية ، فاذا لم يجد شخصا منهم فانه كان يتنازل عن هذا الحق ·

هذا الذي حصل في بداية التقسيم اذ كان التقسيم

في الواقع تقسيما للمرافق بين الاقطاعيين ولم يكن اطلاقا تقسيما بين الشعب ، وبقيت اكثرية الناس محرومة من الفرص كافة ·

وفي النهاية ، بقي عهد الاستقلال استمرارا للعهود السابقة فازداد الحرمان والتفاوت والشعور العام بالتمييز الطائفي ، والتذمر ، وبقي المجتمع متفككا غير متماسك · وبقي اصحاب الامتيازات يحمون دولتهم بالمظاهر الزائفة : من الازدهار الاقتصادي في العواصم ، الى الفلسفات الخاوية ان الصيغة اللبنانية افضل الصيغ ، قوة الجيش ، الامساك بمفاتيح السلطة ، وتنازلوا جزئيا في بعض الفترات لبعض الفئات فعملوا تحالفا مارونيا - سنيا وتحالفا مارونيا - درزيا ، وهكذا حاولوا ان يرضوا بعض الفئات الاخرى ويعطوا قليلا من الامتيازات هنا وهناك ولكن التحالف كان دائما بين الاقطاع والاغنياء من مختلف الطوائف وبين الدولة ·

هذه المحاولات لم تكن نافعة ولم يتمكن اولو الامر من بناء مجتمع متماسك موحد كما لم يتمكنوا من البت في اي موقف اساسي سياسي او اقتصادي او ثقافي ·

بقيت الدولة اضعف الفئات - اداة حفظ التوازن، وتعمقت الزعامات التقليدية واصبحت موروثة ، وبقيت المؤسسات كلها ، وحتى الجيش ، حذرة ،

مجمدة ، محجمة ، تسد ابوابها في وجـه الاكثرية الساحقة من ابناء الشعب ... وتروضت الاحـزاب .
وأحب ان اتكلم هنا عن الاحزاب .

الاحزاب السياسية تروضت في هـذا المجتمع فتحولت الى زعامات جديدة واضطـرت بسبب التعقيدات الموجـودة في المجتمع الـى استعمال نفس الاساليب والوسائل المتعارفة لدى الاقطاعيين : يأخذون منحا لجماعاتهم ، يتحالفون مع الخصوم ومع الشيطان

حتى ينجحوا ، يتحالفون مع الاقطاع حتى يصبحـوا نوابا وهكـذا .

استعمال الوسائل التقليدية في لبنان مـن قبل الاحزاب لم يمكنها من استقطاب الناس . الحـزب الشيوعي مثلا ، تاريخ تأسيسه يعود الـى خمس وخمسين سنة قبل الاحداث . ما حجمه ؟

اخذت الاحزاب قليلا بقوة السلاح ولم تتمكن من تحسين احوال الناس واعمالهم ومصالحهم ، وتحولت الى تحالفات سياسية تستعمل مـن قبل الزعامات المحلية تارة ومن الانظمة والقوى العربية والعالميـة تارة اخرى . ان هذا الوضع الاجتماعي الشاذ جعـل التسلل من الخارج لكل طامع امرا في منتهى السهولة فاصبح المجتمع اللبناني ساحة صراع بين العرب وغير العرب واستفادت الدولة اللبنانية من هذا الصـراع

ماديا ولكنها دفعت الثمن غاليا ومرة واحدة في الاحداث الاخيرة ٠

هذا فيما يخص الوضع الاجتماعي والسياسي في لبنان ، المادة الاولى لطرحنا مسألة نشأة الحركة ودورها ٠



ثانيا : موقع الطائفة الاسلامية الشيعية في لبنان والعالم العربي ٠

ان الشيعة كانت في لبنان منذ ان كان ، عمرت سهوله كما عمرت الجبال ، وعصمت جنوبه كما شرقه والشمال ٠٠ عاشت معه في السراء والضراء ، فسقت تراب لبنان من دم ، كما رفعت في سمائه الوية مجد ٠ شاركت في اخضراره ، فلم يعتب الجمال ، وقادت ثوراته فلم تعتب السيوف وبذلت حتى تعبت الحتوف٠ ان مدارس العامليين وكتبهم خلال عشرة قرون ، هي مكاتب لبنان ٠

نظرة سريعة الى التاريخ ، نرى الخدمات التي قدمتها هذه الطائفة من ايام العامليين الحمدانيين ودولة بني مرداس وبني عمار في طرابلس والشمال ومكتبتهم المعروفة بانه كان هناك مليون كتاب ٠ في الحقيقة ، احسن شيء يجمع هذه الامور محاضرة للدكتور محمد علي مكي وسأعطي مقتطفات منها عن دور الحمدانيين وبني مرداس وبني عمار وثقافتهم التي افادت الحضارات ٠ وكما يبدو في بعض المناطق ، تطورات صور العمرانية ، سياسة ابنائها وشجاعتهم المذهلة ، وصلابة جبل لبنان وتنقلات الشيعة القاسية فيه خلال القرنين العاشر والحادي عشر واوائل القرن الثاني عشر ، مواقفهم

الحاسمة ضد الصليبيين ، صلابتهم النادرة امام الاضطهاد المملوكي ، وفي المجازر الرهيبة في القرنين الثالث والرابع عشر . هذه صفحات من تاريخ الشيعة جعلت بينهم وبين لبنان ميثاقا عميقا وابديا لا يتنازلون عنه ولا يتنازل هو عنهم ، لان مسألة كل منهما حيال الآخر مسألة مصير .

وبعد تلك الامجاد تحركت عهود الاستعمار والاستبداد فشردت شبابهم وأفقرت اراضيهم وهدمت مدارسهم وخلقت لهم من مناطقهم سجونا ومن حياتهم شجونا وبقي الامل في ليلهم المدلهم الذي تجاوز قرونا وقرونا .

ثم طلع الفجر وتحقق الامل وجاء الاستقلال يمسح الجروح ويرفع كرامة المواطن ويمنح الحرية والعدالة ويجند طاقات الانسان ليساهم في بناء وطنه ورفع مستواه وبالتالي يشترك مع اخوانه في عطائه القومي ومشاركته الانسانية .

واختار اللبنانيون الديمقراطية نظاما لا يقبلون عنها بديلا . ثم لاحظوا ان المناطق اللبنانية مختلفة جدا في المستويات الثقافية والعمرانية والاجتماعية وكأنها بلاد تتفاوت حضارتها وهذا يعني ان الفرص غير متكافئة ونظام التزاحم غير عادل .

وبنتيجة هذه العوامل ، لاحظوا ان العدالة الاجتماعية ستبقى خيالا في الخاطر ووحدة الوطن

شعارات تطلق في الاعياد والمناسبات ، والتمنيات ·

اما الفروق بين المناطق والطوائف فتزداد يوما بعد يوم كما هو الحال بين الدول الصناعية والنامية مما جعل العالم يواجه اليوم اصعب مشكلة انسانية يعهدها ·

ومما يزيد من عمق المشكلة في لبنان ان الناس تعودوا خلال تاريخهم الطويل ان يعيشوا فئات ، عائلات او طوائف ·

لاجل ذلك كله ، ولان المناطق كانت منقسمة بصورة تقريبية بين الطوائف ، قرروا نظام التقسيم الطائفي في هيكل الحكم وفي خيرات الوطن واتفقوا على ذلك ضمن ميثاق وطني مؤقت ايمانا منهم بان هذه الطريقة هي الضمان المناسب للعدالة الاجتماعية بين ابناء الوطن الواحد في مرحلة التأسيس ·· مرحلة الانطلاق ·

هكذا نفهم ، باقصى درجات التفاؤل وفي افضل تفسير للاحداث ، معنى النظام الطائفي في لبنان وقد سبق وعرفنا التفسيرات الاخرى التي ترد لدى الكثير من الباحثين والايام اثبتت صحتها ·

ومر ربع القرن ، اي عمر جيل هذه التجربة الفريدة في العالم وهذه المدة كانت كافية لتقييم النتائج رغم قصرها في عمر الاوطان ·

بدأ اللبنانيون خلالها ، ابناء منطقة الجنوب والبقاع بوجه خاص بتحمل مسؤولياتهم الوطنية مستفيدين من ظلال الديمقراطية والحرية والاستقلال ليمارسوا نشاطهم الحياتي في نطاق هذه المثل العليا الكريمة .

والشيعة الذين يشكلون الاغلبية الساحقة من هاتين المنطقتين اصبحوا يعتقدون ان عهود الاستعمار والاحتقار والتصنيف وطمس الحقائق قد ولت ، وان عليهم ان يتحركوا من اجل خلق حياة افضل لهم ولاولادهم ومن اجل وطن عزيز كريم ومستقل . فكان الاتجاه اولا نحو الزراعة فحولوا القطاع الساحلي في الجنوب الى بساتين غنية تشكل رقما قياسيا في الدخل القومي ، وحولوا سهول البقاع الى مزارع لا مثيل لها في الشرق ، وبقيت المناطق الجبلية التي لا ترتوي بالماء فزرعت بالتبغ وبمختلف المحصولات البعلية .

وانتقلت النخبة منهم الى المدن ، الى العاصمة لاجل العمل فشارك عشرات الالوف منهم في حقول العمران والمصانع والسياحة والبلديات والميناء والمطار والمسلخ . في حين هاجر الطامحون منهم الى البلاد العربية الشقيقة والى افريقيا الغربية والى اميركا اللاتينية واستراليا . هاجروا دون توجيه او حماية عسكرية او سياسية او قانونية سوى حماية خلقية

واصالة شخصية ، وتجاوز عددهم خلال هذه المدة مائة الف مهاجر يعملون بجهد ويعيشون في تقشف على امل العودة ٠

الاقبال على التعليم كان شديدا ، فالاباء يعملون ويتحملون الاشقى من الاعمال كي يوفروا المال اللازم لتعليم الابناء حتى المستويات النهائية ٠

والابناء والبنات يتلهفون الى المدارس وكانوا يقطعون في بعض الحالات ويوميا بضعة كيلومترات ليصلوا الى المدرسة ٠

ويزداد العدد ، ففي العام الدراسي ١٩٦٦ - ١٩٦٧ زاد عدد الطلاب في الجنوب ثلاثين بالمئة ، واصبحنا لا نجد اليوم بين الاجيال الطالعة الا ثلاثة بالمائة من الاميين بدلا من سبع واربعين بالمائة قبل خمسة عشر عاما ٠ واشترك الكثير منهم في الوظائف فكانوا نماذج للاخلاص والجد ونزاهة الكف وكان منهم الخبراء والاختصاصيون الكبار ٠

والرغبة الى الانضواء في سلك الجيش والامن الداخلي كانت جامحة عندهم ، وبرغم الموانع التي تقف في طريقهم بحجة عدم التوازن نشاهد ارتفاع المعدل لديهم فكانوا في طليعة المناضلين والاشداء في سبيل الدفاع عن الوطن وعن امنه وقدموا ضحايا كثيرة حتى في سلاح الطيران ٠

وكان السعي في الاعلام والمكتبات والفن والرياضة

والتعلم ومختلف الاختصاصات الحرة من طب وهندسة ومحاماة وغيرها ·

ان هذا الاندفاع كان بحاجة الى رعاية الدولة وحماية الوطن لكي يجعل المستويات المتباعدة بين المواطنين متقاربة ويصب الطاقات الخيرة في خدمة منسقة للوطن ترفع من شأنه ومنع تعرضه للاذى من الخارج او التمزق من الداخل · هكذا كنا نفهم الطائفية في النظام الديمقراطي ·

كل هذه الامور دليل على ان الشيعة التزموا بواجباتهم الوطنية تجاه لبنان بكل قوة واعطوا كل ما يملكون في هذا البلد ·

لكن المبادرات هذه لم تلق الاصداء المطلوبة لدى المسؤولين منذ بداية الاستقلال ، وكانت دائما تصطدم بعراقيل وموانع نابعة من الاهمال والالتهاء بالمصالح الخاصة ، تصطدم بنوايا سيئة ومبيتة لخلق اليأس والجمود والاتكالية والاستزلام وسيطرة الاقطاع على البلد الطيب العريق الذي يعيش فيه شعب هو من ارقى الشعوب في العالم ويملك تاريخا قل ما يوجد لدى شعب اخر او امة اخرى ·

نذكر في هذه المحاضرة نبذة ضروري جدا ان يعرفها الحركيون · انها ليست تفاصيل فنية ولكن دراسات دقيقة وملخصة ·

ونذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر تدليلا على المطلب وشهادة حق لمصلحة المعذبين في هذه الجنة ، جنة الله على الارض ـ لبنان ٠

في حقل الزراعة : الارض الواسعة التي تتجاوز ثلثي الارض الزراعية في لبنان وهي من احسن الانواع واخصبها ، كانت موجودة واليد العاملة مستعدة والخبرات التجريبية والفنية متوفرة ولكنها تحتاج الى الماء ٠ الماء هذه النعمة الالهية التي منحها الله تعالى لبلدنا الطيب بكميات كبيرة تبلغ احد عشر مليار مترا مكعبا في السنة ولكنها تهدر في البحر عدًا ستماية مليون مترا مكعبا منه فقط ٠

هذا الماء كان كذلك موجودا في البقاع والجنوب ، فكانت الحاجة الى مشروع الليطاني والى اقامة سد على نهر العاصي والى تنفيذ بحيرة اليمونة والى انشاء السدود في وادي سباط ـ جنتا ، يحفوفا وشمسطار والى مشاريع مياه في مرجحين ، جباب الحمر ، اللبوة وحوش تل صفية وايعات وغيرها ٠

اسست مصلحة الليطاني سنة ١٩٥٤ وصرفت اربعمائة مليون ليرة لبنانية ولم توضع دراسة شاملة للري بل العكس حولوا ثلاثماية مليون مترا مكعبا من نهر الليطاني الى نهر الاولي لاجل مشاريع الكهرباء وبذلك حرموا الجنوب منها ٠

وكان المستعمر الفرنسي قد اسس سنة ١٩٣٢ بداية السد في العاصي وبدأ بقناتي الهرمل والعين ثم تجمد كل شيء حتى عام ١٩٦٤ حيث وضعت الاعتمادات اللازمة للدراسة لكي تتجمد مرة اخرى ، وتبقى الارض الخصبة في المنطقة بائرة ويبقى الناس هناك في فقر وعذاب وشقاء يهاجرون الى المدن ويتقاتلون فيما بينهم ويرحل الامن والسلام ويستقر التخلف والحرمان ٠

وهكذا كان مصير المشاريع الاخرى واستمر هدر مليارات امتار المياه الى البحر تأخذ معها التربة والخصوبة ، تصبغ البحر وتؤكد للعالم عدم صلاحية المسؤولين عن الحكم وتعطي للعدو حجة دامغة لادانتنا وللطمع في ارضنا ومياهنا ٠

وكان الزرع الغالب في الجنوب ، بسبب عدم وجود المياه ، التبغ ، ومأساة التبغ دامية وحزينة : يعمل الفلاح مع جميع افراد عائلته خلال السنة الكاملة لكي يفرض عليه الكم والنوع والسعر وتتحكم فيه « الريجي » وتحتقره وتصنفه بدلا من تصنيف التبغ لكي يلجأ الى الوسطاء لاخذ حقه المشروع ٠ اما اذا طالب بحقه بدون واسطة فجزاؤه الطرد والحرمان وفي بعض السنوات الرصاص ٠

واليكم بعض معالم هذه المأساة بالارقام :

- ثلاثمائة الف مواطن ترتبط حياتهم بزراعة

التبـغ ٠

ـ يساهم مزارعو التبغ بأكثر من اربعين مليـون ليرة في الدخل القومي ٠

ـ كلفة الكيلو غرام من التبغ من وقت استلامه من المزارع الى وقت وصوله الى ظهر الباخرة في لبنان ٥٫٥٠ ليرات وفي تركيا او غيرها ١٫٣٠ ليرة وذلك لاجل النفقات الادارية الباهظة التي يتحملها المزارع ٠

ـ معدل الهدر عند الفرز في العالم ٨ الـــى ١٢ بالمئة وفي لبنان يبلغ ٢٨ بالمئة ٠

ـ معدل الزرع في العالم من ٨ الى ١٣ دونمات وفي لبنان ١٫٨٠ دونما وهكذا يعرف سبب الخسارة التي يدعونها في شراء التبغ من المزارع ويمننونه ٠

ـ اسعار التبغ في العالم ارتفعت سنة ٧٣ بين ٣٠ بالمئة الى ٥٠ بالمئة ومع ذلك ففي لبنان زاد السعر في هذه السنة للمزارع ٥ بالمئـــة وفي سنة المأساة ١٩٧٢ ورغم زيادة السعر في العالم خفض السعر ٢ بالمئة ٠

ـ قدر معدل الانتاج لدونم واحد في الجنوب بين ٩٠ و ١١٠ كيلوغراما وفي الشمال قدر هـــذه السنة ٤٤٠ كيلوغراما ٠

ـ وقد اطلعتم من خلال الصحف على التفاوت في الاسعار وفي المعاملة وفي النوعية وعلى الاوضاع التي تهدد كيان هذا الزرع من اساسه في لبنان ٠

وفي حقل الزرع ايضا لا بد من ان نضيف مشكلات

التسويق الـــذي يمـارسه المسؤولـون رغـــم وجـود مؤسسات كبرى مع موازنات كثيرة لاجـــل تسويــق الحمضيات والموز والتفاح والحبوب ومشكـلات بيـع الخضار وبصورة خاصة الشمندر ٠

واذا اضفنا الى هـــذه اللوحة المأساوية عـــن وضـع المزارعين ، ذلك البعد الدامي الذي يرتسم في كـــل يوم وفي كل اسبوع ست مـــرات بواسطة العـــدو الاسرائيلي على ارض الجنوب فيمنع المزارعين مـن جمع محصولهم ٠

واذا اضفنا الى ذلك محنة الغلاء المثقل المتزايد ، تكتمل الصورة ٠٠

اما العامل الذي رأيناه يترك قريته لكي يؤمن قوت اهله ونفقات دراسة اولاده ، فانه يعيش فـي ضواحي بيروت في ظروف قاسية لا تتناسب مع مستوى لبنان الحضاري بل لا مثيل لها في اكثر البلدان المتخلفة٠

بيوت مزدحمة ، دون تنظيم ، وفي احياء محرومة من الكهرباء والماء ومن المدارس والمستوصفات والطرق والمجارير ٠٠٠ يسكنها ثلاثمائة وخمسون الف عامـل تقريبا والتدبير الرسمي الوحيد هو وضع تخطيط ورسم شوارع متقاربة لكي تقضي علـــى البيوت بصورة نهائيـــة ٠

وعندما اردنا المبادرة بالتعاون مع سكان حـي ظهر الريحان بالحدث ، حيث اقيمت كلية العلوم من

الجامعة اللبنانية ، وبالتعاون مع الخيرين من اخواننا بنينا قرية نموذجية ومساكن شعبية بلغت اربعمائة وستين بيتا ، وعندما سعينا لاسكان الناس وتسهيل مهمة بناء الجامعة جاءت تدابير تمنع السكان من الماء والكهرباء وغيرهما من ضرورات الحياة جزاء لهذه المبادرات ٠

وأصعب ما في هذا الحقل هو افراز هذه الاحياء مئات من المشردين يجوبون شوارع بيروت يشكلون المجال المناسب لمختلف الجرائم رغم ذكائهم الفطري بلغ عددهم سنة ٦٨ الفا ومائة طفل ٠

اما المهاجرون فان لقمتهم المغموسة بالدم والعرق والغربة كانت تطعم القريب والغريب وجهدهم المتواصل كان يصرف في سبيل عمران العاصمة والقرى ونجاحهم الجزئي ٤ بالمئة فقط كان مستورا وكانوا يخفون حنينهم ومأساة اولادهم الذين كانوا يجهلون اباءهم وامهاتهم ٠ كل ذلك لكي يؤدوا واجبهم الوطني ٠

وقد اهملهم الوطن ، حاشا الوطن ، لقد اهملهم المسؤولون لا من حيث الحماية او التمويل او التسهيلات الجمركية او الضريبية وغيرها ، لا ٠ لا ٠ بل حرموا من ابسط المسؤوليات الحكومية تجاه المواطن في الخارج ، واليكم بعض الامثال :

لقد صرح لي رئيس وزراء غينيا ان رحلة واحدة

من المسؤولين اللبنانيين الى غينيا كفيلة بخروج عشرات من اللبنانيين المقيمين هناك من السجن كما حصل ذلك بالنسبة لرعايا فرنسا والمانيا الغربية عندما اعتقلوا بنفس الاتهام ٠

ومع ذلك لم يسافر احد وبقي الغرباء سنوات في سجون بلاد الاغتراب ٠

والان يعاني مئات من اللبنانيين في جمهورية افريقيا الوسطى اشد انواع الاضطهاد والحجز ولا يخرج احدهم الا بدفع مئات الالوف ومصادرة امواله، والرئيس بوكاسا ينتظر مبادرة رسمية من الحكومة والالوف من شبابنا وعائلاتهم ينتظرون دون جدوى ٠

اما مأساة الجالية في كنغو كينشاسا فقد انتهت بمبادرة شخصية من مواطن انتظر طويلا برقية رسمية او مراجعة او رحلة من بيروت ٠ ثم اتفق مع الرئيس موبوتو بعد انهاء المشكلة بانه سيسعى لاقامة سفارة لبنانية هناك شأن الدول العربية الاخرى ، ولكن الوعد لم ينفذ بل القنصل الفخري يستنيب وكيلا له والوكيل ينوب عنه وكيل اخر يرعى شؤون الجالية اللبنانية - وهو يهودي - ٠

والوضع في اغلب المهاجر من جهة الادارة القنصلية سيء للغاية اذ لا يوجد اكثر من شخص واحد لعشرين الف لبناني في افريقيا الغربية ٠

هذا والاوضاع الاجتماعية تتغير بسرعة في بلاد

الاغتراب وهذه تستدعي الحضور الدائمالذي يحل محله الان غياب دائم والمأساة

واترك البحث عن وضع المهاجر بعد عودتـه كالمحارب المنتصر العائد ، اترك هذا البحث الحزيـن لفرصة اخرى رغم اني قدمت دراسة مفصلة لمعالجـة وضع الهجرة في محاضرة موضوعية مفصلة في بلـدة مزيارة منذ اربع سنوات ٠

وفي سبيل التعلم كان يعاني ابناؤنـا فقـدان المدارس رغم ان بعضهم كان يقطع بضع كيلومترات للوصول الى مدرسته في الشتاء والصيف ٠

وكان من المقرر ان تبنى ثمانون مدرسة فـي الجنوب خلال الخمس سنوات التي انتهت في سنـة سبعين شرط تقديم كل قرية ارضا مناسبة لـوزارة التربية الوطنية ٠ ونفذوا الشروط وتنازلنا في بعض القرى عن الاوقاف مقابل ايجار رمزي ومرت السنوات الخمس ولم تكن النتيجة سوى نصف مدرسة ٠

وفي كثير من القرى تسمى غرف متباعدة مستأجرة من قبل اهل القرية مدرسة ناهيك عن التجهيـزات غير اللائقـة

وكانت المدارس الخاصة في المناطق وفي بـيروت وبنتيجة عدم توفر المال اللازم كـانت ولـم تـزل المستويات منخفضة رغم جهاد اصحابها وجهودهم ٠

والان وامام حلم المدارس المتجمعة فاننا نشعـر

بكل صراحة ودون عقدة ان مستقبل ابنائنا مهدد ومستواهم الدراسي في الاغلب غير متناسب مع طموح اللبنانيين .

اما عن الموظفين وحرمانهم من حقوقهم ومن مراكز مرموقة ومن عدم اعتماد المسؤولين على الكفاءات بل على المحسوبيات فحدث ولا حرج حيث اننا نشعر بتصنيف فاضح واحتقار في هذا المجال الحيوي جدا، هذا المجال الذي يشكل مفتاحا لمختلف مجالات التنمية والخدمات .

ان الدراسة الصحيحة التي كانت من المقرر ان تقدم في هذا اليوم اصبحت مستحيلة حيث امتنع مجلس الخدمة المدنية من تزويدنا بها رغم ان قانون تأسيس المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى ينص على صلاحية المجلس للمراقبة وقد بقيت رسالة المجلس الموجهة الى مجلس الخدمة بتاريخ ٧٢/١٢/٢٤ بلا جواب بانتظار موافقة رئيس مجلس الوزراء .

ولكن في حدود المعلومات المتجمعة لدينا تبلغ نسبة الحرمان في الفئة الثانية ٦٣ بالمئة وفي الفئة الثالثة ٨٨ بالمئة والوضع في المؤسسات التابعة للدولة والشركات المتأثرة بمراقبتها امر وأدهى .

اما في الفئة الاولى فقد صدرت تشكيلات مؤخرا اعطت من حيث الكمية نسبة عالية للطائفة ولكنها غير كافية وهي تعالج الدوائر الحكومية فقط دون

المصالح المستقلة ، بالمؤسسات العامة والتابعة ، ودون اجهزة الامن كالجيش وقوى الامن ، ودون المحافظات .

يبقى حقل العلماء الاختصاصيين من ابنائنا فهو في محنة مشتركة وفي مصيبة عامة فلا مجال للكفاءات اذا لم تسخر لرغبات الاقطاع ، وها نحن نجد امام اعيننا خيرة شبابنا الذين استهلكت دراساتهم العالية حياة اهلهم وآمال السنوات يتركون الوطن واحدا تلو الاخر لانهم يرون قسوة الامل في البلاد بل الغربة في الوطن أمر وأصعب .

مر ربع قرن من عهد الاستقلال وفي اطار النظام الطائفي الديمقراطي ، واعيد النظر في الوضع الاجتماعي والسياسي والثقافي من قبل بعض اهل الرأي من ابناء الطائفة الاسلامية الشيعية ، وكانت النتائج تؤكد ان التفاوت بين ابناء وطن واحد قد ازداد وان العدالة لم تزل حلما يدغدغ الخيال .

فقالوا ان السبب هو غياب الطائفة عن مسرح الاحداث وعن مائدة الخبرات والوظائف والموازنات ؟

وقالوا ان النواب يمثلون مناطقهم رغم انتخابهم الطائفي ، والمناطق اللبنانية مختلطة ، وان النواب يمثلون بعد الانتخاب الوطن كله في النظام البرلماني .

وقالوا ان الطوائف الاخرى كل منها تتمثل بمجلس مركزي اعلى يمثلها وان الشيعة بحاجة الى مجلس اعلى لكي تعالج هذا التصنيف الطائفي .

وقالوا ان الذين كانوا ينادون بتأسيس مثل هذه المؤسسة كانوا على حق ٠

وبعد بحث طويل وصراع مرير ورفض الطوائف عروض تأسيس مجلس واحد مشترك ولد المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى بعد مخاض عسير سنة ١٩٦٩ وفي ١٧ ايار ٠

وعانى منذ ولادته الصعوبات من الداخل واتهامات من الخارج وظروفا وطنية لا ننساها ، راجيا عدم عودتها ، حين بقي البلد سبعة اشهر بدون وزارة ٠

ولد المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى مبتور الصلاحيات ، فاقد الموازنة ، مطعونا في نظامه الداخلي، مجمد الصلاحيات حتى اليوم في ادراج مجلس النواب وهو لم يزل في طور التأسيس يشق طريق المجهول بصعوبة ، يعود نفسه وطائفته على الاقتناع بوجوده وببقائه وبابعاد صلاحياته ، مكتوف اليدين لا لا يمكنه ان يتصرف في الاوقاف ولا في الشؤون الدينية ورجالها ، تعصف به الرياح من هنا وهناك ، يحس بتناقضات ومطامع من الداخل وبالاغراءات والاضطهاد من الخارج ٠ مع ذلك كله « والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه » استمر في الجهد والبناء والاحصاء والتجول والتحرك وقد سمعتم في تقرير الامين العام بعضا من نشاطاته حتى يمكننا القول انه نجح متحديا في حقول اربعة من واجباته الخمس وهي : تنسيق

جزئي لطاقات ابنائه ، تنظيم لعلاقات الطائفة مع الطوائف الشقيقة اللبنانية ، تصحيح علاقات الطائفة مع ابنائها في الخارج ، والمساهمة الذاتية في رفع مستوى ابنائه في ميادين الثقافة والتربية وتعليم المهن وابراز وجهها الحقيقي للمواطنين وللعالم وفي المشاركات الوطنية والقومية ٠

اما في حقوق الطائفة في الوظائف والمناطق فعلى الرغم من ان الدراسات والاحصاءات اكدت مزيدا من الحرمان المعروف ، وعلى الرغم من جهد سنوات اربع في الدراسة والمطالبة والاصرار والمقابلات والوعود والاعترافات والمحاضرات وتشكيل لجان المتابعة وغيرها ٠ على الرغم من كل ذلك ، لم يتمكن المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى بهذه الوسائل من ان يخطو خطوة واحدة في سبيل تحسين الوضع رغم ان هذه المهمة هي اولى مهماته وانها الغاية الاصلية من وجوده ٠

لم يتمكن مجلسنا من العمل ـ باستثناء ما سمعتم عن الاضراب المؤدي الى تأسيس مجلس الجنوب والذي استعمل فيه الاسلوب الاخر ـ ونتيجة عدم تمكنه بدا اليأس على ابناء الطائفة وبدأ يذوب المجلس ويتجمد وكان معرضا لان يصبح مؤسسة شكلية تزين مجالس الحكم وتكمل زينة البلاد والطقوس الفارعة التي تخدر احيانا وتغضب المحرومين دائما ٠

وفي بداية السنة الخامسة من عمر المجلس اي في ايار ١٩٧٣ وبعد مرور تجربة فاشلة عمرها اربع سنوات وبعد اقتناع اعضاء المجلس ورئيسه واقتناع الطائفة بعدم نجاح المطالبة والالحاح والمقابلات والاحصاءات ومناشدة الضمائر وتحت ضغط من الايمان والضمير ونداء من الوطن ومطالبة من المحرومين ، ولدت حركة المطالبة باسلوبها الجديد . تلك الحركة التي نعيش اليوم مراحلها الحاسمة الفاصلة والتي كانت في الاساس حركة المطالبة بحقوق ابناء الطائفة في الوظائف وبعمران المناطق التي يقطنها اكثرية ابنائها ثم تحولت الى حركة المطالبة بحقوق المحرومين .

ان هذه الحركة بدأت في الجلسة التاريخية التي انعقدت للهيئتين الشرعية والتنفيذية في ٢٢ حزيران ١٩٧٣ ووضعت فيها الوثيقة المشهورة التي بموجبها التزمت الاكثرية الساحقة من نواب الطائفة بالتخلي عن الحكومة اذا لم تتحقق مطالب الطائفة خلال اربعة اشهر من تاريخ نيل الثقة .

وكان من الواضح ان الاسلوب السياسي اذا تم سيضع حدا قاطعا للمشكلة حيث ان الحكم في لبنان مشاركة ولا حكومة دون اشتراك الشيعة فيها وان كل حكومة تسقط اذا سحب نواب الشيعة ثقتهم منها .

مطالب الطائفة :

ولكن الخطة السياسيّة هـــذه اجلت او تعثــرت لاسباب معروفة فلم يبق امامنا الا اسلوب المطالبــة الضاغط ولو استدعى ذلك بعض العنف ٠ فعدنا الى العاشوراء وقد كـــان شباط ١٩٧٤ يصادف عاشوراء ١٣٩٣ هـ واجتمعنا في جلسة اخرى يوم ٨ شباط ١٩٧٤ حيث وضعت تفاصيل المطالب وهي :

١ ـ في حقل الوظائف العامة : وعلى اساس العدالة التي يؤكدها الدستور نجد ان الطائفة الشيعية تشغل في الوقت الحاضر ، وفي الفئة الاولى ، علــــى سبيل المثال ، تسعة عشر مركزا من اصل استحقاقها البالغ ثلاثين مركزا ٠

هذا مع العلم ان الطائفة محرومة من اي مركز في الوظائف العليا الادارية والقضائية بالاضافــة الــى الحيف اللاحق بها في مراكز الجيش وقــوى الامــن الداخلي ، فضلا عن رؤساء كل مجالس ادارات الدولة٠

ان المجلس الاسلامي الشيعي الاعلـــــى يطالب بانصاف الطائفة الشيعية بشكل سريع عن طريــق تعيين اصحاب الكفاءات من ابناء هذه الطائفة في احد عشر مركزا من مراكز الفئة الاولى ٠

٢ ـ بالنسبة الى نوعية المراكز يرفض المجلس تصنيف المواطنين طائفيا ويؤكد بقوة مطالب القائلين

برفض طائفية الوظيفة وضرورة تبادلها بين مختلف الطوائف حسب كفاءاتهم ٠

٣ ـ ان مسألة الدفاع عن حدود الوطن وعن سلامة المواطنين في ارجاء البلاد هي المسؤولية الاولى للسلطات ، وفي هذا الحقل يحتج المجلس على اهمال قضية الدفاع عن جنوب لبنان ولا يمكنه القبول بأعذار ومبررات غير صحيحة او غير كافية ٠

٤ ـ ان الالوف من المواطنين في مناطق بعلبك ـ الهرمل وفي الشمال وفي مناطق اخرى لا يملكون بطاقة هوية لبنانية وبالتالي يحرمون من كافة حقوق المواطنية ٠ إن هؤلاء لا يمكن التشكيك في لبنانيتهم ولا في ولائهم الوطني ولكن ظروفهم الحياتية وسكناهم في مناطق نائية جعلتهم من المكتومين والمعلقين ٠

٥ ـ في حقل الانماء : يؤكد المجلس على ضرورة تنفيذ مشاريع انمائية في المناطق المحرومة والمتخلفة وذلك عن طريق قوانين وبرامج ولحظ اعتمادات في الموازنة العامة لكي تصبح المناطق اللبنانية متقاربة المستوى ويطلب المجلس في هذا المجال تحقيق ما يلي :

ـ تنفيذ مشروع ري الجنوب من مياه الليطاني وذلك بانهاء الجدل حول منسوب المياه واعتماد الدراسات الدقيقة التي وضعت بهذا الخصوص ٠

- اصدار التشريعات اللازمة لتأمين اعتمادات التنفيذ ٠

- الغاء جر مياه الليطاني الى مدينة بيروت والاستعانة بمياه نهر بيروت ونهر ابراهيم ٠

- واعتبار مشروع الليطاني مشروعا وطنيا اجتماعيا الى جانب كونه ذا صفة اقتصادية ٠

٦ - تنفيذ المشروع الجاهز للبحيرات الاصطناعية الذي يروي الاراضي الواقعة في قضائي صور وبنت جبيل (مثلث يارين - كفرا - يارون) والتي لن تستفيد من مشروع الليطاني ٠

٧ - تنفيذ مشروع القاع - الهرمل من الاعتمادات المرصودة منذ عام ١٩٦٢ واصدار التشريع اللازم لتأمين الاعتمادات اللازمة لانهاء شبكات الري في المرحلة الاولى وضخ المياه في المرحلة الثانية بحيث يتم تأمين ري سبعة الاف هكتار ٠

انشاء عمليات الضم والفرز بحيث تنتهي مع نهاية تنفيذ المشروع للتمكن من الافادة منه بصورة صحيحة ٠

٨ - لحظ الاعتمادات اللازمة لانشاء الخزان الواجب تنفيذه في بحيرة اليمونة القديمة لتأمين ري اربعة الاف هكتار اضافية مع ما يلزم من اعتمادات لاتمام شبكات الري في الاراضي الواقعة بين دير الاحمر - الكنيسة حتى شمسطار ٠

٩ ـ تنفيذ مشروع انشاء السدود في نحلة ـ وادي سباط ـ جنتا ـ يحفوفا ـ شمسطار ، ومشروع ري سهل بعلبك من مياه رأس العين ، وري الاراضي من حوش تل صفية وايعات من مياه نبع عدوس، ومشروع منخفض عيحا ، ومشروع ري مرجحين ـ جباب الحمر من عيون ارغش ، ومشروع مياه اللبوة ، وتقويم مجرى الليطاني في اراضي حوش الرافقة ـ بدنايل ـ تمنين التحتا ، وتزويد مدينة بعلبك بمياه نبع البغل ونبع اللجوج ٠

١٠ ـ اعطاء الاولوية في انشاء المدارس الرسمية والمهنية ودور المعلمين والمعلمات في الجنوب والبقاع وعكار وعدم اللجوء الى تمرير المشاريع المدرسية في المناطق المتقدمة تدريجيا كما هو الحال الان ٠

١١ ـ انشاء المستشفيات والمراكز الصحية في المناطق المحرومة وتحسين وضع مستشفى الهرمل وتخصيص الاموال الموجودة في مصلحة التعمير لانشاء شبكات المجارير في تلك المناطق وذلك بموجب قوانين نافذة تمنع التصرف الكيفي باموال مصلحة التعمير ٠

١٢ ـ تنفيذ مشروع اوتوستراد بيروت ـ صيدا ـ صور واتوستراد بيروت ـ شتورا ـ بعلبك ـ الحدود السورية وتنفيذ مشروع طرق القرى المحرومة ٠

١٣ ـ تصحيح اوضاع مزارعي التبغ وانهاء المأساة ٠

١٤ ـ زيادة اعتمادات المشروع الاخضر ووضع قانون لاعطاء الاولوية للمناطق المحرومة ٠

١٥ ـ انماء الثروة الحيوانية وتعميم المشاتل الزراعية وتصنيع الزراعة وانشاء مصانع لتأمين تصريف المنتوجات الزراعية بعد تصنيعها ٠

١٦ ـ رصد الاعتمادات اللازمة لانهاء التنقيب عن الاثار في مدينتي بعلبك وصور خلال مدة عشر سنوات وانشاء فندق سياحي في بعلبك مع مشاريع سياحية في كافة المناطق الاثرية ٠

١٧ ـ دراسة شاملة للمناجم في مختلف المناطق وبصورة خاصة النفط الذي تؤكد الدراسات وجوده في لبنان ٠

١٨ ـ تصحيح قانون توزيع اموال البلديات بحيث يؤمن العدالة والازدهار لمختلف البلاد اللبنانية ٠

١٩ ـ عفو عام عن مخالفات البناء لكي يتمكن سكان ضواحي بيروت وغيرهم من الاستفادة من المياه والكهرباء ٠

٢٠ ـ تصحيح اوضاع ضواحي بيروت وبصورة خاصة الكرنتينا والنهر وحي السلم وبرج حمود وتل الزعتر وبرج البراجنة ٠

هكذا وبكل اصالة ومنطقية ومن خلال الواقع الموضوعي للطائفة في لبنان ولدت حركة المحرومين ٠

علينا ان نقول الواقع العربي لان القوة في لبنان

تتعدل نتيجة للضغط العربي ، واضـــح ان المعادلات العربية في القوة تنعكس على لبنان · ومع الاسف ، الشيعة لم يكن عندهم اي عنصر ضغط عربي · العالم العربي خلال التاريخ بدا محجوبا عن التفاعل مع ابناء الطائفة بسبب حملة الاضطهـــاد الرسمي والشعبي التي كانت تتعرض لها · نحن في المادة الثالثة ، يعني في تراث ووضع الطائفة الشيعية سنتكلم ان لمـاذا

هذا الهجوم · ذلك لانهم كانوا اقلية عقائدية ، وهذه الاقلية كانت خطرة على الحكم · العالم العربي كـان بأكثريته ينظر ويشك بسلامة موقع الشيعة ، ويعتبره كما يصف الكاتب المصري الكبير الاستاذ احمد امين في كتابه « ضحى الاسلام » اذ يقول : « الحق ان الشيعة ملجأ يلجأ اليه كل من يريد هدم الاسلام » · هذا رأي العالم العربي فينا ·

طبعا ، نحن بدأنا نبذل جهودا لان تفاعل الوضع العربي مع القوى في لبنان ينعكس علـــى واقعنـا الاجتماعي · منذ تأسيس المجلس ، والذي هـو اول مؤسسة رسمية ، بدأنا بالرحلات والاتصالات والاعلام والمشاركة في المؤتمرات ، والتعاون الوثيق هنـــا مـع الطائفة الاسلامية السنية · ومع ذلك ، العالم العربي كان قليل التعاطف والتفاعل مع الشيعة مما يزيد في المحنة ويقلل من قوة الموقف ، وكان ينظر بحذر شديد الى حركة المحرومين التي اعلنت مرات انها حركة لا

طائفية • وسنرى في الفصل القادم ان واقع الطائفة العقائدي والتراثي يؤكد التزامها التام باسلاميتها ، وبكونها طليعة النضال والحركة لخدمة الاسلام • اما البحث عن عروبة الشيعة فهذا بحث طويل ، حول ان الشيعة ليسوا عربا بل من ايران ، موضع اهتمام ورد وجدل ، ومستشرقون مثل (لامنس) وغيره اشتركوا حتى يدسوا ويخلقوا صراعات داخلية لانهم كانوا مكلفين بتعميق الهوة بين المسلمين •

هذا البحث اصبح واضحا اليوم بعد الدراسات التي وضعت مؤخرا ، وخاصة محمد علي مكي وتثبت ان الشيعة في التزاماتهم يفوقون الاخرين •

اذن ، في بحثنا اليوم ، قرأنا موضوعين : الواقع الاجتماعي والسياسي في لبنان ، والواقع الاجتماعي والسياسي للشيعة في لبنان وفي العالم العربي •

امامنا نقطتان : العوامل التاريخية والعقائدية عند الشيعة ، ودور القيادة •

مع دراسة هذين الموضوعين تكتمل الصورة وظروف النشأة لحركة المحرومين ، اي ، بداية نشأتها طبعا • نحن الان نسلم هاتين المحاضرتين للجنة الثقافية المركزية للطبع والتوزيع وكما ذكرت قراءة ودراسة هذه المواد الزامية لشباب الحركة • وبنفس الوقت ، في المناقشات التي تجري في الخلايا وفي صفوف الكوادر • طبعا ، يلخص المسؤول المناقشات

ويرسلهاَ الى اللجنة الثقافية المركزية حتى تتحــــول بدورها الى مكتب العقيدة والثقافة والسلام عليكم ٠



ثالثا : العوامل التاريخية والعقائدية

التشيع رؤية وسلوك

ان التشيع في تصور الكثير من الناس هو مذهب فقهي يقابل المذاهب الفقهية الاسلامية ، او مذهب كلامي رديف لمذهب المعتزلة والاشاعرة ، او هو موقف سياسي ناتج عن الاراء العائدة الى الخلافة الاسلامية بعد رسول الله (ص) .

والحقيقة ان التشيع هو رؤية وسلوك اسلاميين بينهما الائمة المعصومون من آل البيت واتباعهم ، يتجاوز في ابعاده الاجتهادات الفقهية او الاراء الكلامية والمواقف السياسية ، وان كانت هذه الابعاد من نتائج تلك الرؤية والسلوك .

وأول من لفظ كلمة التشيع واستعملها هو الرسول الاكرم حيث قال : « يا علي ستدخل انت وشيعتك على الله راضين مرضيين » . وكان شيعة علي في عصر الرسول كبار اصحاب الرسول من بينهم فاطمة بنت الرسول وسلمان وابو ذر والمقداد وعمار وغيرهم .

وبامكاننا ان نخص الرؤية هذه بالرؤية الملتزمة المتطورة التي اصبحت في ما بعد مبدأ الاجتهاد في الدور الديني . كما يمكن تفسير السلوك المشار اليه بانه التفاني في سبيل خدمة الامة وتحمل الشقاء وبذل التضحيات دون الجنوح نحو الفئوية والاستئثار .

وبذلك نتمكن ان نعتبر التشيع لعلي في ينابيعه هو رؤية الطليعة المناضلة وسلوك الرواد ، وبتعبير آخر انه محاولة الاحتفاظ بالاسلام بوصفه حركة لا مؤسسة ذات مصالح ومنافع ذاتية ٠

وقد برز بعد وفاة الرسول موقف محدد من علي وشيعته وهو انهم اصروا على ضرورة تعيين خليفة الرسول بالنص الديني لا بالاختيار والتعيين، واعتبروا ان هذه المهمة ، وهي بناء المجتمع الجديد على ضوء القيم والمفاهيم الاسلامية والذي بدأ ببنائه الرسول نفسه ، ان هذه المهمة تبلغ من الدقة درجة لا يمكن تفويضها الى الناس وهم في بداية اسلامهم ، ذلك لان تطبيق المبادىء للمرة الاولى بصورة يسمو على المصالح الذاتية وعلى الآراء المختلفة ، هو مسألة بالغة الخطورة والتأثير على واقع الاسلام وعلى التاريخ ٠

سيما وان الرسول قد اعلن عند عودته من حجة الوداع وفي مكان الجحفة ، مفترق طرق الحجاز ، وفي اليوم الثامن عشر من ذي الحجة ، اعلن عن ولاية علي بعد ان بلغ الامة قرب وفاته وبعد ان اشهدهم على ولايته التي وردت في القرآن في الآية : « النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم » ٠

وبالرغم من هذا الموقف الاساسي فان عليا وشيعته بعد الاعلان عن موقفهم لاحظوا خطورة الوضع وحداثة عهد الناس بالاسلام وامكانية انفجار

المجتمع الجديد فوقفوا مع الخلفاء مؤيدين ، ناصحين، مدافعين عن النظام ، وامدوا الامة بما كان عندهم من روايات نبوية ، واجتهادات ومواقف ، وكانوا في صميم المجتمع الاسلامي غير منفصلين ولا متربصين ولا شامتين، حتى اصبح القول المأثور عن بعض الراشدين « معضلة وليس فيها ابو الحسن » اصبح مثلا ٠

واستمر الائمة من آل البيت في هذا الخط يصونون الاسلام بمواقفهم التي كانت تتنوع حسب مواقف الخلفاء وحسب استجابة الامة ٠ فالحسن بن علي صالح معاوية ، وعلي بن الحسين ، الملقب بالسجاد وهو الامام الرابع من ائمة الشيعة ، لم يستمرا في الثورة المسلحة بل كانا يعلنان عن الاحكام الاسلامية وعن الانحرافات الرسمية باساليب هادفة ، تربوية ، دعائية وغيرها ، وكانا يحافظان على الاسلام ويحميانه ٠

اما الحسين بن علي فقد خرج ثائرا لكي يدين الانحرافات الخطيرة التي كان يمارسها يزيد بن معاوية والتي كانت تهدد الكيان وتشوه حقائق الاسلام ٠

وكانت الظروف الملائمة للتوعية والتعليم وتربية المجتهدين وتطوير الفكر الاسلامي في اواخر القرن الاول الهجري الى اواسط القرن الثاني مجالا رحبا للصادقين ؛ الامام محمد الباقر والامام جعفر الصادق؛

حيث كان الخلفاء الامويون ملتهين بمشاكلهم الداخلية وبصراعهم مع العباسيين ، وحيث التقى المجتمع الاسلامي بالمجتمعات الاخرى فوجد نفسه امام آلاف من الاسئلة والمواضيع الجديدة ، وكان بحاجة ملحة الى قيادة فكرية اصيلة متطورة .

والتعاليم التي حفظت عن الامامين والتي جعلت الصفة التابعة للشيعة بالجعفريين ليست مختصة بالفقه بل انها تشمل طريقة فهم القرآن والاصالة والايديولوجية في المسائل الاصولية امام التيارات الفكرية التي تأثرت بالفكر الاغريقي او غيره ، كما انها تحتوي على التوجيه العلمي في مختلف الحقول ، وعلى الانفتاح تجاه الثقافات مع حفظ الاصالة .

وقضى موسى بن جعفر حياته بين نفي وسجن واضطهاد ولكنه بقي ينصح ويطرح الصورة الصحيحة للاسلام تماما مثل ابنيه الرضا والجواد اللذين عاشا مضطهدين بالقرب من الخلفاء ، ومثل حفيديه الهادي والعسكري اللذين بقيا سنين مسجونين في ثكنة العسكر .

الشيعة طليعة الامة

وفي جميع الروايات الواردة عن الباقر والصادق وعن غيرهما من الائمة الاثني عشر الذين تشكل

كلماتهم وسيرهم مصدرا واسعا من مصادر التشيع يظهر الالتزام بالخط الاسلامي العام وان ما يقولونه مروي عن الرسول ، ولا يشعر الباحث عنها اطلاقا ، برائحة الفئوية المذهبية والانفصال عن الامة ، بل انهم كثيرا ما كانوا ينتقدون موقف بعض القادة من خلفاء وعلماء بسبب التفرد وعدم الانسجام مع ما ورد في الكتاب والسنة ٠

اما علماء الشيعة المجتهدون والاختصاصيون في مختلف العلوم الاسلامية فانهم كانوا يبذلون قصارى جهدهم لكي ينقلوا بامانة ما ورد في تفسير القرآن والسنة ، وما نقل اليهم من تعاليم الائمة الاثني عشر ، ويرفضون الاجتهاد في مقابل النص ، بل يجتهدون ضمن الاطار العام للاحكام والمبادىء الاسلامية ٠ وقد رفض السيد « الرضي » قدس الله سره ، ـ الرضي والمرتضى اخوان من كبار العلماء ـ احد كبار علماء الشيعة في اواسط القرن الرابع، رفض اعتماد ركن خاص بالمذهب في الكعبة او في المسجد الحرام عندما تقرر تحديد اماكن خاصة للمذاهب الاربعة الاخرى هناك ٠ رفض السيد ذلك رغم مكانته الكبيرة وقربه من الحاكم ٠ فالحاكم كان يريد تصنيف المذاهب الاسلامية ٠ اما الان فلا نشاهد ذلك ولكن سابقا كان هناك محراب يسمى المحراب المالكي ، المحراب الشافعي ، المحراب الحنفي ، والمحراب

الحنبلي ، وكان ائمة المذاهب يصلون هناك · اذن ، طلب من « الرضي » ان يقام محراب باسم المحراب الجعفري فرفض ·

الان ، انا اسمع كثيرا من الخطباء الشيعة يقولون ان السبب يعود الى عدم توفر المبلغ المطلوب اذ دفع السيد الرضي النصف وطلب النصف الاخر من اغنياء الشيعة فخذلوه ، ولو كانوا قد دفعوا لكان المذهب الشيعي الان مذهبا رسميا · هذا الادعاء في رأينا غير وارد ، فالسيد الرضي لا يوضع في نفس المكان مع الاخرين الذين يكرسون المذهبية الفعلية · الاسلام واحد ونحن روايتنا اسلام ، فكتب الحديث المعتمد عن الشيعة مليئة بالنقل عن صحابة النبي وعن كبار رواة المذاهب الاخرى مشروطا بالوثوق والدقة في النقل ·

هذا هو الخط الاساس عند الشيعة خلال التاريخ الطويل ورغم ما عانوه من مصاعب قل ان عاناها غيرهم في العالم ·

اذن ، مهما عمل معنا كشيعة نحن في خدمة المسلمين جميعا ، لسنا فئويين فنحن طليعة المسلمين، نموت لاجل الجميع وليس لاجلنا نحن ـ هذا هو السلوك التاريخي الشيعي · هكذا انا افهم التشيع · اما مذهب لهذا او فئة لهذا لها مصالح وتنظيمات خاصة فليس هناك شيء من هذا · هذا التاريخ ، هذا الملهم لنا في حركة المحرومين ·

من الطبيعي ان يكون هناك مواقف واراء تختلف عن هذا الخط العام سيما بعد القرن العاشر الهجري - عصر الانحطاط · كثير من الكتب والخطب والمواقف والعادات عند الشيعة كان في مقام رد الفعل والرد العاطفي على الاضطهاد العنيف الذي كان يمارس ضدهم ·

اليوم يؤخذ علينا كشيعة ان لماذا نسب الخلفاء ، نسب اصحاب الرسول ؟

نقول لهم ان السب ليس جزءا من مذهبنا ، انه مرفوض : الامام علي (ع) سمع جماعة من جيشه يسبون « معاوية » فقال لهم : لا احبكم قوما سبابين ·

السب مرفوض · المذهب الشيعي يرفض سب الخلفاء والاصحاب ولعنهم ولكن تفسير ما حصل هو ان هذا كان ردا لان معاوية فرض على جميع خطباء الجمعة في العالم ان يلعنوا علي بن ابي طالب على المنابر يوم الجمعة ، والصيغة معروفة فكانوا يقولون : اللهم ان ابا تراب قد الحد في دينك فألعنه لعنا وبيلا ·

عمر بن عبد العزيز حذف الفقرة ووضع مكانها : ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر ، وهذا حتى الان موجود ·

اذن ، تفسير ان اجدادنا كانوا يسبون يعود الى ان الشيعة تعرضوا للضغط ، هذه كانت شوكة الشيعة فى التاريخ وليس جزءا من المذهب · وعند اللحظة

التي تريد فيها الامة ان تتفهم هذا الواقع فبامكـــان علماء الدين ان يحرموها اذ ليست جزءا من الدين ابدا ٠

السؤال : لماذا هذه الضغوط على الشيعة ؟

السبب الاساسي لهذه الضغوط هو ان الشيعـة كانوا اقلية خطرة ، بل اقلية عقائدية تعتمد على رؤية ايديولوجية لا تقر بالولاء للخلافة وكان الشيعة يعتبرون ان التعاون مع الحاكم ذل وظلمة وهذا كان يشكل خطرا ولذلك قتلوهم ، سبوهم ، نفوهـــم ، حبسوهـم ، افقروهم ، وشوهوا طريقهم ٠ وحتى اليوم ، في القرن العشرين ، واينما توجهت في العالم العربي يبـادرون الشيعة بالقول : انتم تسبون الخلفاء ، انتم تؤلهون آل البيت ٠٠٠ طبعا ، هذا تشويه عقائدي في التاريخ، ونريد ان نوضح هذا الاساس ٠

مواصفات التشيع :

اذن ، التشيع رؤية اسلامية صافية ، وسلـوك اسلامي صاف يجعلان من الشيعة طليعة الامة ٠ واذا كان المطلوب ان تسمي التشيع مذهبا ، فان المطلوب ايضا ان نعطي كلمة « المذهب » اجمع الحقيقة ٠

ماذا يعني مذهب ؟ يعني « طريق » ٠

« مذهب » مفعل من ذهب ، ويذهب ٠ مذهب اسم مكان ، مكان الذهاب ٠ اذن ، التشيع مذهب للطريق ـ طريق الاسلام ٠ الاساس والدين هو الاسلام ، وعند

ذلك فاننا نقدر ان نذكر المواصفات العامة له في النقاط التالية :

١ ـ الولاية :

الرسول كان له دور الرسالة : ابلاغ احكام الله ، ودور الولاية : تنفيذ احكام الله .. قدم لـ « علي » الذي كان يضطلع به وكان يسعى لاقامة حكم صالح ويذكر نماذج في هذه المحاضرة من كلمات الامام : « ألا وان امامكم قد ارتضى من دنياكم بطمرية ومن طعامه بقرصين » وامثال ذلك .

اذن ، الميزة الاولى ، الولاية .

٢ ـ النزاهة التامة في القائد :

فالامام عند الشيعة ، الامام الذي هو مصدر الشريعة معصوم . والقاضي والمجتهد وامام الجماعة والبلد والشاهد يجب ان يكونوا عدولا ، اما الحاكم فيجب ان يكون في درجة عالية من العدالة والناس جميعا مدعوون لان يبلغوا درجة التقوى .

٣ ـ مسؤولية القائد لا حدود لها :

انها تبدأ برعاية مصالح الناس بدقة متناهية حتى انه اذا كان في مركز السلطة يجب عليه ان يعيش في مستوى اقل من افراد شعبه كما يقول علي :« أأبيت مبطانا وحولي بطون غرثى واكباد حرى ولعل بالحجاز او اليمامة من لا طمع له بالقرص و لاعهد له بالشبع »· وقد سبق ما يؤكد هذا الامر ·

المسؤولية تبدأ بالرعاية عندما يكون القائد في مركز السلطة ، والا فعليه صيانة مصالح الناس بالتضحية وبالاصرار وبمختلف وسائل الضغط حتى يبلغ درجة التضحية والاستشهاد · والقائد يقول : « من اصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم »·

هذه المسؤولية لا تختص بمن يسمى قائدا ولخدمة الاخرين بل ان الانسان مسؤول بمقدار وعيه وحسب امكاناته : « كلكم راع وكلكم مسؤول » ·

ان مسؤولية الواعي من الشعب او حسب المصطلح، مسؤولية المثقفين ، مسؤولية الكوادر تصحيح اوضاع الناس ·

٤ ـ الاجتهاد :

مصادر التشريع هي : القرآن ، وسنة النبي التي هي قوله وسلوكه واقراره ، والاجماع والعقل ·

هذه المبادىء الاربعة مشتركة في اساسها بين المسلمين عامة · فما هي الفروق ؟

يمتاز التشيع باعتماد احاديث الائمة المعصومين من آل البيت مقابل اعتماد الصحابة على احاديث وأقوال لاصحاب الرسول جميعا ·

اذن ، كيف نفهم ان هذا حلال وهذا حرام ، هذا واجب ، هذا صحيح ، هذا باطل ··؟ عبر مصادر التشريع التي هي القرآن والسنة والعقل والاجماع وهي متفق عليها بين كل المسلمين في حين ان الشيعة ، بالاضافة الى ذلك ، يقولون : اقوال الائمة ، وان السنة يقولون : اقوال الصحابة ·

ورغم تداخل هذا المصدر لان قسما كبيرا من الصحابة نحن نعمل بقولهم وهم يعملون بقسم من اقوال الائمة ، فان وجود الائمة في الاجيال المتعاقبة ـ اثني عشر جيلا ـ ساهم مساهمة كبرى في اغناء المصادر في الفترات الثقافية والعقائدية الصعبة الدقيقة ·

كما ذكرنا ، المجتمع الاسلامي بدأ يتوسع : الحضارات العالمية والثقافات العالمية من اليونان والاسكندرية والعراق ، وايران ، ·· دخلت المجتمع الاسلامي وهنا حصل التفاعل وكان لا بد من قيادة ثقافية · وقد نتج عن هذا الامر بقاء باب الاجتهاد مفتوحا لدى الشيعة بينما بقاؤه كذلك

لدى المسلمين الاخرين ، بدليل قلة المصادر ، كان يشكل خطرا كبيرا ، فالصحابة عاشوا جيلين فقط ، وغابوا عند الحاجة القصوى ، اي عندما التقى المجتمع الاسلامي بالمجتمعات الاخرى ذات الثقافات والحضارات العريقة ، وعندما وجد الانسان المسلم نفسه امامالاسئلة والمواضيع الجديدة. وعلى رغم المواضيع الجديدة ، الشيعة كان عندهم ائمة ، اي ان المصدر موجود . اما عند غير الشيعة فالامام غير موجود والصحابة ماتوا فهم من جيل واحد كلهم ، فما العمل ؟

اعتمدوا القياس : حكم شبيه بحكم ، موضوع شبيه بموضوع. استعملوه ، وانتهى القياس فاعتمدوا المصالح المرسلة ، ومع ذلك بقيت الحاجة الى اكتشاف الحكم تفرض على المجتهدين ما يشبه التشريع . اي ان الحكم صار مثل التشريع ، يعني ان العالم الديني اصبح مثل مجلس النواب يشرع اذ لم يكن هناك اكتشاف لحكم اسلامي فبرز الخطر عند الانقسام الشديد والتباين في الافكار فارتأى القادة سد هذا الباب فترة طويلة ، فانسد باب الاجتهاد عند الاخرين ، بينما بقي مفتوحا عند الشيعة ، وحتى العصور الاخيرة حين انفتحت ابواب الاجتهاد تدريجيا.



٥ ـ الانفتاح :

يبقى بعض المعالم الاخرى في القسم الاخير من حديثنا ، ولا بد من التأكيد ان الاجتهاد ، وان كان مختصا في الفقه وفي فهم الاحاديث واستنباط الاحكام الا انه القى ظلالا واسعة على مختلف الشؤون الاسلامية عند الشيعة ، وخلق ميزات حضارية معينة من جملتها مبدأ الانفتاح على المذاهب والاديان الاخرى ، والشيعة يملكون في تراثهم شواهد كثيرة لذلك ٠

٦ ـ رفض الحاكم الجائر :

وقد اثر مبدأ الولاية في رفض التشيع للحكام وللانظمة شبه الاسلامية ، وبالتالي، في اعلان مواقفهم من الحكام وفي عدم الارتباط معهم وفي عدم الذوبان في الانظمة حتى في قضايا التمويل والموازنات ٠ في البلاد الاسلامية الاخرى ترى ان الازهر او المؤسسات الدينية الاخرى جزء من النظام ، الرئيس ينتخب بناء على اقتراح ٠

بينما علماء الشيعة لم يكونوا ابدا جزءا من النظام خلال هذه الفترة ـ هذه الامور لها تأثير فيما نريد ان نبحث فيه بالنسبة لولادة الحركة ـ واعتمدوا في ادارة مؤسساتهم على الاوقاف قبل وضع يد الدول عليها وعلى الحقوق الشرعية ولم يسمحوا باعتبارها

من الضرائب المقدمة الى الحاكم الاسلامي · فلذلك ، ترى ان الشيعي يدفع الضريبة مرتين : سهم السادة وسهم الامام ، والزكاة والضريبة العامة التي يعطيها من حقوقه ، وهذا بدوره ساعده في بقاء التشيع حركة لا مؤسسة الى وقت طويل · طبعا ، في بعض البلاد ، وفي بعض الازمان ، صارت مؤسسة · ونحن عندما نرفض الحكام ليس لانهم غير شيعة وحتى لو كان شيعيا ، فيجب ان يكون حكمه منطبقا على المبادىء العامة ·

٧ ـ الانتظار للمهدي :

لا بد من اضافة مبدأ الانتظار للمهدي (عج) ، انتظار المهدي المنتظر الامام الثاني عشر ، من معالم ومواصفات هذا المذهب · وهذا المبدأ كان ينعكس على الناس باساس التهيؤ الدائم والامل الدائم والاستعداد ، وهذان وحدهما حفظا التشيع في عصور الاضطهاد القاسي ·

والمعروف ان الشيعة الامامية يعتقدون : ان الامام الثاني عشر وهو احد الائمة من ل البيت ومن نسل علي وفاطمة واسمه محمد وكنيته ابو القاسم سيظهر ، وانه يملأ الارض قسطا وعدلا بعدما ملئت ظلما وجورا · ان المهدي هو الذي سيقود الناس الى المجتمع

المثالي الذي يسود فيه العدل التام وتتوفر فيه الفرص للجميع وليس فيه مكان للظلم بانواعـــه وللجهـــل والباطـــل ٠

وانتظار الظهور بمعنى التهيؤ والامـــل واجـــب مذهبي لدى الشيعة ٠

٨ ـ التقليد :

وبعد حصول الغيبة الكبرى ، اي عصر انقطـــاع الامة عن الائمة المعصومين ، صدرت الاوامر المطاعـــة من الائمة بان واجب الناس الرجوع في كافة شؤونهم الدينية وفي المسائل المستحدثة الى الفقهاء المجتهدين العدول او حسب تعبير النص « من الفقهاء من كـــان صائنا لنفسه حافظا لدينه عاصيا لهواه مطيعا لامر مولاه » ٠

واصبح التقليد ، اي متابعة المجتهد العادل في كافة الشؤون الحياتية اي في معرفة احكامها ، واجبا من واجبات الانسان المكلف ٠

ويمكن ان يختار الانسان المؤمن طريق الاجتهـــاد الذي هو رغم مشقته مفتوح لكل شخص ، وعند ذلك عليه ان يدرس ويتخصص في العلوم الاسلامية التـــي تمكنه من استنباط الاحكام من مصادرها التي اشرنا اليهـــا ٠

تاريخ وابناء

وقبل ان ننهي المواصفات العامة للمذهب الشيعي ، علينا ان نقف امام تاريخ هذا المذهب وابنائه حيث انه ايضا بحد ذاته يكمل الصورة المطلوبة :

انه تاريخ مليء بالاضطهاد والضغوط المتنوعة من قبل السلطات ، وكان من ابشع انواعها وأشدها خطرا على الاسلام هي حملة التشويه الشاملة التي تعرضت الشيعة لها ، والتي فرقت بين المسلمين وصورت المذاهب الاسلامية كأنها اديان وامم متعددة .

وفي المقابل كان موقف القادة من الشيعة الالتزام التام والحرص المطلق على مصالح المسلمين ، وبنفس الوقت ، الاصرار عليا لتمسك بالاراء والسلوك حتى ولو ادى ذلك الى الاستشهاد . وهو في تاريخنا لا ينحصر في الائمة المعصومين بل يشمل الفئات والقبائل والشخصيات المعروفة ، وهذا البحث بحد ذاته يتطلب كتبا مطولة لعلنا نتوفق بتقديم نماذج عنها للابحاث الثقافية .

والشيعة يحتفظون بهذه الذكريات ، سيما ذكريات استشهاد الحسين والائمة المعصومين ، ويقيمون حفلات بهذه المناسبات ، ويستفيدون منها للتعليم والتربية لعامة الناس .

لقد برز في تاريخ العالم الاسلامي بعض الرجال الشيعة ، وبعض الشيعة حكموا العالم الاسلامـي او قسما منه لفترة طويلة او قصيرة ، بالاضافة الـى فترات الاضطهاد الطويل ، ومن ابرزهـم الفاطميون في مصر ، والحمدانيون في سورية ، والمرابطون في المغرب ، والصفوية في ايران وغيرهم ٠

عدد افراد الشيعة الان في العالم يبلغ حوالـي مائة مليون يسكنون ايران والعراق والجنوب الغربـي من الاتحاد السوفياتي : اذربيجا ن ، ارمينيا ، جورجيا والافغان والهند وباكستان والصين وتركية وسوريـة ولبنان والخليج العربي والقسم الشرقي من المملكـة العربية السعودية واليمن وعمان ٠

وابرز جامعاتهم الدينية في الوقت الحاضر هـي في العراق وايران ، ولهم مؤسسات ثقافية ومكتبـات كبرى وغير ذلك ، ويعيش كبير علمائهم « المرجـع » في الوقت الحاضر في جامعة النجف الاشرف بالعراق بينما كان المرجع منذ فترة قصيرة يعيش في جامعـة « قم » ايرا ن٠

هذا يا اخوان ما حكيناه في هذا البحث والـذي سيطبع ٠ بالنسبة للحلقات خلاصة من الرؤية العامة عن الشيعة ، نحن امام البند الرابع ـ دور القيادة ٠

في الواقع ، إننا في حرج عظيـم ان اكتب هذا

البحث وان يبقى الامر غير مطروق · نحن قلنا ان الحركة ولدت من ضمن صفوف الطائفة الشيعية هذه · مذهبها انفتاح وعدم كونها فئوية ، فطبيعة المذهب تمكن من هذا الامر ·

والوضع الاجتماعي للشيعة ذكرناه ، وكذلك الوضع الاجتماعي للبنان ولم يبق سوى دور القيادة · دور القيادة ، طبعا ، اذا لم يكن الدور الاول - وهو ليس كذلك حتما - ولكنه دور اساسي · اي لو كانت هذه الظروف كلها متوفرة ، ولكن كان هناك اناس اخرون لا يفهمون التشيع كحركة كان من الممكن ان يأخذوا الطائفة الشيعية الى جانب النظام ، الى جانب التحالف مع اصحاب الامتيازات فيعتبروها اقلية حليفة للاقلية الاخرى ولكان الخط غير هذا الخط · او مثل بعض القاصرين الذين كانوا يعتبرون ان الاسلام ليس له نظام اقتصادي واجتماعي ، وان التشيع كذلك ليس عنده شيء من هذا النوع ، لبرز الخطر في وضع الحركة في احضان الشيوعية واليسار المتطرف ·

اذن ، نحن في موقع التحدي ، وهنا ، دور القيادة دور اساسي · فاذا لم اتمكن ان اكتب شخصيا حلقة القيادة لان الامر يعود لي شخصيا في الغالب وهذا محرج لي فعلا ، كما ان التقييم قد يكون غير موضوعي

لان الامر بين ان يتواضع الانسان او ان يزكي نفسه اكثر من الواقع ٠

اليوم انا متعب ، وان شاء الله ، في بداية الجمعة القادمة ، نأخذ خلاصة من هذه الابحـــاث ونطـــرح التسلسل المنطقي والطبيعي لان حركة المحرومـــين تنشأ من قلب الطائفة الشيعية ومن مستوى القيادة مع الناس ، وهذا شيء طبيعي جدا ومنطقي جـــدا ومقتضى قلب التاريخ ايضا ٠ وبطبيعة الحال ، عند ذلك نقدر ان ننظر الى المستقبل بشكل اخر وبرؤية اخـــرى ٠

اذن ، نحن قدمنا حتى الان ثلاث دروس ويبقى الدرس الرابع في الجمعة القادمة باذن الله ، والسلام عليكم ورحمة اللهوبركاته ٠



رابعا : دور القيادة

اولا ـ الامامة ...

في تحليل لغوي عند العلامة العلائلي في كتاب المرجع واستنادا الى دراسة له طويلة ، يفسر «الامام» بميزان خشبي كان يستعمله البناؤون لمعرفة استقامة البناء او انحرافه ، والذي تحول في ما بعد الى ميزان الزيبق ، هو المعنى الاصيل .

وفي مصطلحنا المعاصر يطلق الامام على علماء الدين القادة في التفكير والقول والسلوك ، مع ما يشوب الالقاب في مجتمعاتنا من المجاملات والمبالغات والتمنيات .

ولكن الغاية من هذا البحث تفرض ان نفسر كلمة الامام بمعنى المصطلح المذهبي عند الشيعة ـ الشيعة الامامية ـ انه انسان لا اله ولا نصف اله ، بلغ الكمال الذي يريده الاسلام ، الانسان الفائق وليس ما فوق الانسان ؛ انسان بلغ الكمال وبنفس الوقت القائد المسؤول لتوجيه الامة . وفي المتون الشيعية : الامام حجة الله على الارض ، كتاب الله الناطق ، المرآة التامة للاسلام ، الاسلام المتجسد ؛ الانسان الذي تحول في احاسيسه وفي تفكيره وفي احكامه وفي اقواله وفي اعماله وحتى في سكوته ، الانسان الذي تحول الى

مستوى الميزان ٠ كما ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « انا ميزان الاعمال وعلي لسانه »، وبكلمة ، انه الانسان الفائق القمة وليس ما فوق الانسان ٠ انه وصي وليس نبيا ٠

ثانيا ـ الشهادة ٠٠٠

نحن في هذه الدراسة ، امام عاملين قائمين حيين فاعلين ولسنا امام حدثين تاريخيين ٠ فالامام كما عرفناه تجسيد للرسالة ، فهو باق في مركز القدوة وفي مركز القيادة ، حيا كان الامام او ميتا ، قوله وسلوكه وسكوته ورضاه سند نستند عليه في كتبنا الفقهية كجزء من المذهب ٠ فالامام حكم متجسد وايمان متجسد ، انتصر في المعركة او هزم او عزل لا فرق ، عامل فاعل مستمر حتى الان ٠ والشهادة في منطق القرآن خلود وتحرك وقيادة : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا » ـ والانتباه الى البقية ـ « بل احياء عند ربهم يرزقون » ـ الضوء المستمر ـ « فرحين بما اتاهم الله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم » ٠

ثالثا ـ القيادة والدعوة ٠٠٠

اذن نحن امام عاملين قائمين لا امـــام حدثين تاريخيين فنصل الى تفاعل العاملين الموجودين فـي عنوان هذا الحديث لكي يفرد هذا التفاعل لنا عناوين ثلاثــة :

- **شهادة الامام**
- **امامة الشهيد**
- **الشهادة الامام**

الاول : اما شهادة الامام فهي الترابط العميـق بـين الامام وبـين الشهادة ، حتــى ان الشهـادة جزء اساس من مسؤولية الامام القيادية ٠

الثاني : امامة الشهيد ، فالشهيد في سبيل الله امام ٠ ومعنى ذلك ان الشهادة بحد ذاتها قدوة وقيادة وهما في درجتيهما العاليتين اساسان لمفهوم الامامة ٠ والشهيد العادي يتمتع بصفتين اساسيتين من صفات الامام فهو في موكب الامام ٠

اما **الثالث** ، الشهادة الامام ، واعني بهـا ان مستـوى شهادة الحسين في عـاشوراء اذا درسناهـا بأسبابها ودوافعها النفسية وتفاصيلها ونتائجهـا تفوق الشهادات كلها ، ولذلك نسمي الحسين « سيد الشهداء » او على حد تعبير العقاد « ابو الشهداء » ٠ والحديث يقول : « لا يوم كيومك يا ابا عبدالله » كلمة وردت في كثير من الاثار الدينيــة الشيعية ٠ اذن ،

الشهادة الحسينية يوم عاشوراء امام الشهـــادات الشهادة الامام ·

ان المطلوب في هذه الدراسة هـــو العنوان الاول فحسب ، شهادة الامام ·

اما العنوان الثاني وهو امامة الشهيد ، فانـــه بحث اجتماعي وديني مستقل تطرق اليه الكثيرون من الباحثين بالتفصيل وقد نكتفي في ذلك بالآية التـــي تليت حول دور الشهيد في الدعوة وفي الاثارة وفي الخلود وفي التحول الى القيم · فلندخل في صميم بحثنـــا ـ شهادة الامام ·

أ ـ شهادة الامام :

وهنا نحتاج الى ان نتحدث عن مفهوم الامـــام وضرورته عند الشيعة وابعاد معنى الامام لدى المذهب· اما العنوان الاول فانه يدرس خلال ابحاث اخرى ·

ولاجل ان ندرك تسلسل الفكرة ونصل الى صورة واضحة عن الامام ، الينا هذه المبادىء :

١ ـ الانسان والكمال

اولا : الحياة في مفهومها الديني حركة دائمة نحو الكمال والقرآن الكريم يلخص هذا بقوله : « انا لله

وانا اليه راجعون » اي نحن في رجوع مستمر الى الله ، اي الكمال المطلق ٠ وهذا المفهوم نجده في كثير من التعاليم الدينية التي تأمر بالحركة الدائمة والسعي الدائم حتى الرمق الاخير ٠

ثانيا : الحركة تغيير مستمر واتجاهها نحو الكمال اللانهائي الذي هو الله يستدعي سيرها نحو الافضل ، اذ الحياة في مفهومها الديني سير دائم وتغيير مستمر نحو الافضل ، وبالتالي رفض الوقوف والجمود والتراجع ٠

ثالثا : والتحول الواجب نحو الافضل ـ بما في ذلك التجارب والانتكاسات طبعا ـ هادىء احيانا وعنيف احيانا اخرى حسب ظروف الحركة ٠

رابعا : وجود الخير والشر في الاحساس ووجود الخير والشر في الحياة يخلقان الصراع الدائم في نفس الانسان قبل الصراع في الخارج وبالتالي فان هذا الصراع هو الدافع المتجدد نحو الكمال ٠

الانسان متحركا نحو الكمال ، دافعه وجود عنصر الخير والشر في نفسه وفي الخارج والا فلو لم يكن الانسان يدرك الشر او لو لم يكن الشر في الخارج لم يكن الاختيار اي الصراع او الرياضة الدائمة ، وبالتالي ، الكمال الدائم وهذا مفهوم قرآني ٠ ففي سورة الشمس يقول : « فألهمها » ـ يعني الله ألهم النفس ـ « فجورها وتقواها » ـ يعني ان الله ألهم

الانسان وخلقه بحيث يحس بالشر كما يحس بالخير - « قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها » - الفلاح اي الكمال يحصل بعد الصراع - وآية اخرى « وهديناه النجدين » ٠ الخالق علم الانسان طريقه الى الخير والشر ، وتضيف الآية : « فلا اقتحم العقبة »٠ الانسان المقصر ما اقتحم وما عبر المشكلة ٠ « وما ادراك ما العقبة ، فك رقبة » تحرير انسان فردا كان في يوم من الايام او جماعة في يومنا هذا ٠ « او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة » ٠ الاطعام يعني خلق العيش للانسان فرديا كان حسب طاقات الانسان او جماعيا ٠٠٠ فدافع الانسان نحو الكمال وجود عنصر الخير والشر وصراع الخير والشر المستمر في الذات ، الصراع في النفس والصراع في الخارج ٠

٢ - مراحل الدعوة الآلهية

خامسا : اما الدعوة الالهية فلها مراحل ودرجات: المرحلة الاولى الضمير ، او على حد تعبير القرآن الفطرة - فطرة الله التي فطر الناس عليها ٠ ان الضمير هو المرحلة الاولى للدعوة الالهية نحو الكمال ، والضمير هو النبي الباطن يأتيه بعد ذلك النبي من الله ٠ والنبي ضمير الكون والوجود ، يساعد الانسان

في صراعه هذا ويخرجه ، اذا أراد ، من الظلمات الى النور . هذه خلاصة دعوة الانبياء جميعا : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يدعو به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور » اي من ظلمات الجهل الى نور العلم ومن ظلمات الفقر الى نور الرفاه ، وهكذا .. انهم الانبياء بعثوا من الاميين، من عامة الناس ، ليزكوهم ويعلموهم الكتاب والحكمة كما ورد هذا في القرآن بالنسبة للنبي محمد . فالمرحلة الاولى من الدعوة هي الضمير والثانية دعوة الانبياء .

اما المرحلة الثالثة للدعوة فلعلها لا تخلو عن غرابة ولكنها مليئة بالتفاؤل والتربية وخلق القوة من الضعف .

والقرآن الكريم له منطق خاص في هذا المجال لانه يجعل المصيبة دافعا مساعدا لانتباه الانسان ووعيه وحركته كما ان التفاعلات الاجتماعية وظهور الفساد في البر والبحر ، حسب تعبير القرآن ، عامل اخر لتنبيه الانسان الى اخطائه في اتجاهه . يقول القرآن: « ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون » . نلاحظ اذا ان هناك آثارا اجتماعية سيئة نتيجة لعمل الانسان جاءت لكي تنبه الانسان، فهي نوع من الدعوة الجديدة والتذكير . هذا بالنسبة للاحداث الاجتماعية ويسري

نفس المنطق بالنسبة للمصائب « ولنبلونكم بشـــيء من الخوف والجوع ونقص مـــن الامـــوال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة » • حتى المصيبة في الرؤية القرآنيـــة مرحلة مـــن الدعـــوة •

٣ ـ شمولية الدعوة واستمراريتها

سادسا : ثم ان الدعوة شاملة لجميـــع البشر : « ولكل قوم هاد » • والقرآن يؤكد خلال آيات متعـــددة وجود الدعوة بواسطة الانبياء لجميـــع شعوب الارض وبالتالي يثبت ان دعوة الله للانسان عامة بواسطـــة الانبيـــاء ومستمرة بواسطة الهـــادين « الائمـــــة » والاوصيـــاء •

هذا الاستمرار والشمول في الدعوة الالهية عناية من الله لانقاذ الانسان من سيطرة الاهـواء وعناصر الشر في داخله وفي الخارج ، والتي تظهر خلال دعـــوة الانبياء وبعدهم وتتراكم حتى تصبح خطـــرا علـــى الدعوة ذاتها •

ومن هنا يبدأ دور الامام لمنع تحـــول المفاهيـــم والاحكام الالهية عن طريق عناصر واناس يشوهـــون الفكرة ويحرفون الكلام عن مواضعه •

فالامام عند الشيعة له دور حفظ الدعوة والقيادة عدا انه ليس نبيا ولا يوحى اليه ولكنه معصوم عن الخطأ والذنب ومعنى ذلك ان الامام ـ الامام المعصوم طبعا لا الامام في مصطلحنا المعاصر ـ يمثل الارادة الالهية في سير الانسان نحو الكمال ومن اجل ذلك يقول الشيعة ان تعيين الامام يجب ان يكون حسب النص وليس حسب الانتخاب والاختيار · فالامام يمثل الارادة الالهية اي مساعدة الانسان في صعوده نحو الكمال وهو يصطدم بعراقيل وعقبات · والصدام خفيف تارة وعنيف اخرى وطالما ان الامام يمثل هذه الارادة يتضح معنى الحديث « اكثر الناس بلاء الانبياء ثم الاوصياء » باعتبار مسؤوليتهم عن دعوتهم المستمرة · ونعرف معنى الحديث « من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة الجاهلية » لمواجهة خطر الانحراف وسيطرة البشر ·

هذه الاستمرارية في القيادة ومساعدة الناس على صراعهم الداخلي والخارجي ودفعهم نحو الكمال تعبير صادق عن سنة الله في الخلق « ولن تجد لسنة الله تبديلا » · فالتغير والتطور والتكامل هنا يلتقي مع الثبات والاطلاق ويصبح امرا لا يتغير في الاساس متغيرا في المضمون · فالسنة الازلية المطلقة تتطلب التغير الدائم ، هنا يلتقي التغيير والثبات · لذلك فان النبي ، كل نبي ،

ومن بعده الامام الوصي ومع الامام ممثلوه كما ورد في الحديث « من كان من الفقهاء صائنا لنفسه حافظا لدينه عاصيا لهواه مطيعا لامر مولاه » ـ اصحاب هذه الصفات ، الامام يعبر عنهم فيقول : « فانه حجتي عليكم وانا حجة الله عليكم » • وهؤلاء القادة : النبي، الامام وممثل الامام مسؤولون امام الله عن سلوك الناس واستمرار تحركهم نحو الكمال مهما كان الثمن وكيفما كانت الظروف حتى لو استلزم ذلك تضحيات ، اي « الشهادة » • فالامام مسؤول عن تقديم الشهادة وان يتقدم لاجل الشهادة عند الاقتضاء حتى يصون سير الانسان نحو الكمال الذي يصطدم بعراقيل وعقبات خفيفة احيانا وعنيفة اخرى •

٤ ـ الاجتهاد والجهاد او الامامة والشهادة

ومن هنا فان مفكري الشيعة ـ او على الاقل بعض مفكري الشيعة ـ يميلون الى رفض تصنيف التشيع مذهبا في الاصل منفصلا عن المذاهب الاخرى. المفكرون يرفضون ذلك بل انهم يقولون ان التشيع بمعنى المسؤولية هو ايديولوجية القادة وسلوكهم القيادي المعتمد على الاجتهاد والجهاد ـ وهو الدرس الصحيح للمرحلة المعاشة والسعي حتى الشهادة في سبيل تحويلها الى الافضل • • وهنا نصل الى التلاقي

العميق بين الامامة والشهادة لان الامامة مسؤولية لصيانة تحرك الناس ومن الطبيعي ان المسؤول قد يحتاج الى درجة الشهادة ٠ فالشهادة جزء من الامامة٠ وندرك مفهوم الحديث الوارد عن الائمة « ما منا الا شهيد او مسموم » ، حيث يلقي الاضواء على ابعاد النضال الذي كانوا يمارسونه لتحمل مسؤولياتهم ٠ وهنا نصل الى النمط العريض لتاريخ التشيع الذي تشكل عاشوراء صفحة بارزة منه ٠٠ ذلك الخط الشاق المأساوي الذي جعله رغم قلة اصحابه مذهب الرفض ام المخالفة ام المعارضة في اطار الالتزام الاسلامي العام بالنصوص والمتجدد بالاجتهاد ٠

أ ـ الرسالة ٠٠٠ حلقات شهادة

ان رسالة الدين واحدة في سلسلة واحدة متصلة الحلقات ٠٠ والهدف لا يتحقق الا بتحرير الانسان من عبادة الذات ومن التأثر بنزعات الشر ومن عبادة ما حوله ومن حوله ٠ ان التحرر من عبادة الذات يحصل خلال الصراع النفسي وهو امر ذاتي يخصنا رغم انه يكلف جهدا كبيرا وقد عبر عنه بـ « الجهاد الاكبر » ولكن عندما يصل الانسان الى التحرر من عبادة آلهة الارض ورفض عبادة من حوله ، يعني تحرير الانسان من عبادة الناس والاصنام ـ الهة الارض الذين

يستعبدونه ويستضعفونه ، عندما يصل الامر الى التحرر من الطغاة يصطدم بمصالح هؤلاء وتحتدم المعركة ٠

وهنا نجد ان جهاد الانبياء والائمة والاوصياء جميعا في ساحة واحدة بحيث يمكننا ان ندرس موقف كل منهم في اطار عام ٠ ومن جملة هذه المجاهدات بل قمة هذه التضحيات استشهاد الحسين يوم عاشوراء ٠ فليست الشهادة الحسينية حلقة معزولة عن الحلقات الاخرى بل ندرسها من خلال تاريخ نضالي طويل اوجد شهادة الحسين كما ان شهادة الحسين اوجدت شهادات اخرى ، ولكن شهادة الحسين هي القمة ٠ ولذلك فالروايات الشيعية في الزيارات تؤكد وتقول : السلام عليك يا وارث ادم صفوة الله (يربط بين الحسين وبين آدم) السلام عليك يا وارث نوح نبي الله ، السلام عليك يا وارث ابراهيم خليل الله ، السلام عليك يا وارث اسماعيل ذبيح الله ، السلام عليك يا وارث موسى كليم الله ، السلام عليك يا وارث عيسى روح الله ، السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله ، السلام عليك ٠٠٠ وهكذا ٠٠٠

هذه الاحاديث تركز على ربط الحركة الحسينية بالحركات القيادية لتحرير الانسان من عبادة آلهة الارض ودوره في انه يحمل اعباء التاريخ كلها ضمن معارك جرت منذ الاول في وجه الطغاة ولخدمة المعذبين

في الارض منذ ان كانت الارض · وهـــذه المعـــارك استمرت وسقط شهيد تلو شهيد في الطريق حتى جاء الحسين وهو سيد الشهداء فهو حلقة مترابطة مـــع هذا الماضي · وبنفس الوقت هذا يعني ان حركتـــه نابعة من حركتهم وهي بدورها ام الحركات ، والحسين بدوره ابو الشهداء ·

ان آلهة الارض « الطغاة » في المصطلح الديني هم آلهة المال وآلهة القوة وآلهة الاغـــراء والهة الجاه والطغيان والظلم · ان هذه الآلهة وزبانيتهم تقـــوم باستعباد الانسان او على حد تعبير القرآن «استضعاف الانسان» ـ طبعا كلمة الاستضعاف في القرآن كلمـــة شاملة ، تعني عد انسان اخاه الانسان ضعيفا لكـــي يأخذ منه ماله ، وهذا استثمار في مصطلحنا المعاصر، او حريته، وهذا نسميه الاستعمار ، او يأخذ منه عقله ·· الاستضعاف في الاستثمار والاستعمار والتسلـــط والاغراء والارهاب والتضليل ، وجميع العناصر التي تسلب الانسان سلوكه الصحيح وحريته المسؤولـــة · ومن الطبيعي ان هذه الآلهة لا تترك الساحة دون جهاد فيصطدمون مع رسالة الدين المتجسدة في دعوة الانبياء والائمة ويحصل الصراع وتراق الدماء وتمتلىء السجون ويضطهد المستضعفون في الارض ·



ب ـ مرحلة التأويل

ثم تبدأ المرحلة الثانية التي تسمى بمرحلة «التأويل» ذلك لانه عندما ينتصر نبي في المعركة سرعان ما يغير الطغاة ادوارهم فيلبسون ملابس الدين ويقوون سلطاتهم باحكام الدين وطقوس الدين فيأخذون صدور المجالس ومراكز المعابد ويعود الخطر ويبقى المعذبون في الارض تحت الاعباء الجديدة التي اكتسبت لون القداسة من خلال المؤسسات الدينية ورجال الدين ايضا الذين يساعدون هؤلاء الطغاة ـ آلهة المال والجاه والطغيان · المستضعفون يتألمون وتستمر المأساة ويعود الصراع بقيام نبي او وصي وتراق الدماء وتمتلىء السجون وتسقط الضحايا وهكذا ·

والحسين الذي عاش الرسالة الاسلامية وشاهد جهود محمد وعلي واصحاب محمد ، شاهد جهودهم في سبيل تحرير الانسان من قيوده ودفعه الرائد نحو الكمال · الحسين عاصر تحطيم الاصنام في الكعبة وعاصر تحطيم الاصنام في المجتمع وسقوط الشاهنشاهية الفارسية والقيصرية الرومانية والتمييزات الطبقية القريشية وتحرير الانسان اليمني والحبشي وعاصر ولادة المجتمع الجديد، مجتمع الاخوة الذي اسسه محمد على اسس العدل والكرامة الانسانية والقيم · الحسين هذا الذي عاصر تلك

المعارك فشاهد النتائج وميز الصفوف فوجد انصار الحق مقابل انصار الباطل ، يرجع البصر كرة اخرى فيرى ان كل شيء قد تغير ويرى ان الذين كانوا يحاربون الحق في الامس القريب ويستضعفون الناس باساليب طاغية اصبحوا حماة الدين الجديد وادعياء حماية هذا الدين فيحكمون من خلال المنابر والمساجد فيقول متألما : « اصبح المعروف منكرا والمنكر معروفا ألا ترون ان الحق لا يعمل به وان الباطل لا يتناهى عنه ؟ ليرغب المؤمن في لقاء الله محقا » ٠

الحسين يشاهد ان على منبر الرسول ومن خلال مركز القيادة الجديدة مركز تحصين الانسان وانقاذ الانسان يتحكم ساسة الارهاب والتجويع في العالم الاسلامي عدا جيوش الحاكم ـ المرتزقة (راجعوا شرح نهج البلاغة ـ المجلد الثاني ، والطبري ـ المجلد السادس والاستيعاب وابن الاثير والمسعودي لكي تشاهدوا العصابات التي كانت تكلف من قبل الخليفة لكي تغير على اطراف العالم الاسلامي ، عصابات السلب والقتل وابادة ارزاق الناس ومنع الناس عطاياهم واجورهم ونهب بيت المال) ٠

والى جانب ذلك ، سيف المستضعفين ، اي سيف محمد ، وصل الى يد الطاغين من جديد فيستضعفون بسيف محمد من جديد وهذا هو الخطر الدامي الأمر ٠ ثم يشاهد الحسين

ان سياسة التفرقة بين القبائل وتشتيت الامة والتفرقة بين الشعوب وبين العناصر تتحكم في المجتمع ـ لاحظوا كتاب الصفين لنصر بن مزاحم والطبري وتاريخ الاسلام السياسي لكي تشاهدوا كيفية خلق الفتن بين اليمني والقيسي ، وبين فئات من اليمنيين ، وبين العراق والشام ، والحجاز والشام ، واليمامة واليمن ، وداخل القبائل كيف كانت تمارس سياسة التفرقة ـ ٠

ثم يشاهد الحسين ايضا تزوير الاحاديث فهناك اناس ممتهنين يأخذون رواتب لكي يزوروا الاحاديث وينقلوا الروايات في فضل القبائل ـ راجعوا شرح النهج ايضا وقد جمع ذلك احمد امين في كتاب نهج الاسلام حتى اصبح في الاحاديث مدرسة باسم مدرسة معاوية في الاحاديث ـ ٠

د ـ تحريف المفاهيم

ثم يشاهد الحسين ان المحنة ـ محنة المستضعفين ـ اصبحت اكثر خطورة لانه تكونت ايديولوجيات خطرة تروج لاستمرار المعذبين في تحمل الاعباء والصبر فتكونت فرقة «المرجئة» ، و «المرجئة» كما يقرها ابن حزم في الفصل تعتمد على هذه القاعدة: « لا تضر مع الايمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة ، فاذا كان الانسان مؤمنا بقلبه كفى ذلك مهما

ارتكب من الظلم فلا يضره شيئا » ٠ هذه الفلسفة تكونت لخدمة الطغاة الذين كانوا يتحكمون باسم الاسلام كما ان «الجبرية» انتشرت في هذا الوقت بالذات وتركت الامور للتقادير وسلب الانسان ارادته : ارهاب في الحياة الفكرية ، تجويع ، والاغلال تعممت ٠ وبالتالي يشاهد الحسين نتيجة هذه الامور في قتل الابرياء وترحيل القبائل ـ وان حصة لبنان من قضية ترحيل القبائل حصة وافرة لان كثيرا من القبائل الذين انتقلوا ورحلوا الى لبنان كانوا من القبائل الشيعية في العراق ـ ونفي الصحابة والتابعين وتسفيرهم نتيجة ذلك ٠

يشاهد تحولا عميقا في مفاهيم الجيش ، فالجيش كان جيشا رساليا فصار جيشا مرتزقا ٠

وفي مفهوم بيت المال ، الذي كان للامة فصار لمصلحة الطاغين ٠ وشاهد الفرق في الحكم ، في مفهوم الحكم الذي هو اعطاء حكم الله لا تنفيذ رغبة الناس، والتغيير في الشعائر الدينية ـ المسجد المتواضع والصلاة البسيطة اصبحت ضخمة في الشكل ، يهتمون بشكلها وابنيتها كما يقول الرسول « مساجدهم عامرة بالبناء خراب من الهدى » ٠ وتغير في البيعة ، فالبيعة التي كانت تعبر عن رضى الناس ، واختيار الناس ، وتصويت الناس ، اصبحت مفروضة تؤخذ مسبقا وبالاغراء والتهديد ٠

يشاهد الحسين هذه القواعد وتلك النتائج في جانب الحاكم ، ثم يشاهد من جهة اخرى ان الامة تنظر كالنعاج الى هذه الاوضاع دون اعتراض ، وان اليأس واللامسؤولية والخوف والطمع عوامل مسيطرة على الناس ·

د ـ الشهادة

وهو الحسين ـ مسؤول عن سلامة تحرك الناس هو المسؤول لانه الامام ، ولكنه لا يملك جيشا ولا قوة، فاختار ان يحول نفسه الى سلاح في الميزان · فخرج مع اولاده واهل بيته واصحابه وعائلته · ويقف لكي تتحقق المأساة بافظع صورها فتكشف خصومه وتعزلهم عن ادعائهم تمثيل المفاهيم الدينية وتؤكد للناس ان هؤلاء الحكام ليسوا هم القديسون ، ولكي تهز ضمائر الامة من جهة اخرى · وهكذا كان ·

وكانت نتائج الامر كما قدرها الحسين : اعتراض بعد اعتراض وتمرد وثورة · فحركة التوابين جاءت بعد فترة وجيزة من مشهد الحسين وقتله كما يقول الطبري ، تم جاءت ثورة المدينة ثم ثورة المختار بن ابي عبيدة الثقفي في سنة ٦٦ هـ · يعني بعد خمس سنوات اشتعل العالم الاسلامي في كثير من اجزائه فيحركات دموية قاسية ، وجاء مترف بن مغيرة بن

شعبة فثار على الحجاج في سنة ٧٧ ، وعبد الرحمن في سنة ٨١ ، وزيد بن علي بن الحسين في سنة ١٢١ ، حتى انتهت الى ثورة بني العباس التي قلعت جذور بني امية ٠ وهنا نشاهد ان في جميع هذه الثورات كانت شعاراتهم : « يا لثارات الحسين » ٠

وملخص الكلام ان الشهادة مسؤولية اصيلة في القادة وفي الامام الذي هو سيد القادة في المصطلح الاصلي الشرعي ٠ فالمعركة يجب ان تدرس كما هي مدروسة في الحلقات الاحدى عشرة القادمة ٠ المعركة رسالية : جزء من الكل ، مرتبطة بالماضي ، واصلة المستقبل الى الماضي ، طبيعية وناجحة ٠ وهكذا نجد الترابط الواضح بين كلمة الامام في مفهومه الاصيل وبين كلمة الشهادة التي يعبر عنه عنوان محاضرتنا بعاشوراء ونصل الى أن الذين يريدون ان يسلكوا هذا السبيل عليهم الاستعداد لمثل هذه المسؤوليات وتحملها وأن في ذلك أضواء على الابعاد التفصيلية الموضوعية التي سنشاهدها ٠

هـ ـ استمرار عاشوراء

واستمرار عاشوراء في التاريخ كما قلنا لكي يبعد الموضوع عن كونه حدثا تاريخيا ننظر اليه كقصة في التاريخ بل انه المتجدد مع كل سنة ٠

واختيار صورها امر وطني بشري فني فقد عبر عن عاشوراء بتعابير مختلفة فمن معبر بالشعر أو بالنثر او بالكلمة أو بالاحتفالات أو بالمسرحيات أو بصور اخرى متكاملة ٠ فالغاية ابقاء اللوحة في وجه الانسان لمساعدته في صراعه مع الشر ولكي يتجسد ويفهم ما يقوله النبي عن الحسين في كلمتين :

الكلمة الاولى : انه يعبر بأنه مصباح الهدى ، المصباح الذي ينير الطريق للهداية ٠

ويقول ثانيا : « حسين مني وانا من حسين » ٠ فالحسين منه امر واضح لانه ابنه ، اما هو من الحسين فهنا يأتي دور عاشوراء في التاريخ لان الاسلام الذي جاء لتحرير الانسان أصبح من جديد اغلالا في ايدي الناس المستغلين ، فولد الاسلام في شكله الحقيقي المتحرر والمحرر للمستضعفين في اطار القيادة على يد الحسين مرة اخرى ولذلك يقول النبي : « انا من حسين » ٠



خامسا : حركة المحرومين ـ ثورة مؤمنة انسانية

في الابحاث السابقة لاحظنا :

أولا : الاوضاع الاجتماعية والسياسية ومختلف الشؤون الحياتية التي كانت سائدة في لبنان منذ ١٨٦٠ ، حتى الان .

ثانيا : وضع الطائفة الاسلامية الشيعية اجتماعيا وسياسيا وحياتيا .

ثالثا : الفكر الشيعي المقتبس من التراث ومن صميم المبادىء الايمانية والمواقف التاريخية للقادة .

وبنتيجة هذه الابحاث اكتشفنا ان حركة المحرومين في لبنان ، تملك كافة معالم ثورة مؤمنة انسانية لا طائفية ، رغم أنها حركة انطلقت من صميم ابناء الطائفة الشيعية وبمشاركة قيادتها الروحية المسؤولة .

وذلك لان الثورة الحقة ، في مفهومها العام الصحيح هي حركة تقدمية عادلة ترفض الوضع السائد في المجتمع الظالم المتخلف وتملك ايديولوجية متكاملة .

أما اولئك الذين حصروا الثورة في حركة طبقية ، أو في فئة معينة ، فانما نظروا الى واقع الحركات المعاصرة لهم ، فلو عاشوا في فترة اخرى من الزمن لكان لهم رأي اخر .

وقد اخرنا البحث في الشرط الرابع من شروط الثورة ، وهو القيادة ، الى ما بعد دراسة ابحاث ضرورية لتوضيح معالمها ٠

بقي هنا بعض النقاط الاساسية في بحثنا هذا ٠

اولها : ان هذه الحركة « حركة المحرومين » كانت عادلة وباتجاه تقدم الانسان في التاريخ لمجرد العوامل التي تحدثنا عنها في المادتين الاولى والثانية ، ولكن الحركة هذه كانت من مقتضيات الضرورة التاريخية بسبب المزيد من العوامل التي تعتبر على خلاف سير التاريخ ٠

فالظلم واغتصاب حقوق ابناء الطائفة ، ازداد بصورة واضحة خلال السبعينات ، وازداد بوجه خاص عدد المحرومين لدى الطوائف الاخرى ، وارتفع مستوى الوعي والثقافة لدى المحرومين ٠

ومن جهة اخرى ، فقد زرعت اسرائيل بشكل مجحف وعلى خلاف جميع القواعد المعروفة في قلب هذه المنطقة ، وقد نتجت عن هذه الظاهرة نتائج كبيرة ذات ابعاد حضارية وبشرية وثقافية وامنية واقتصادية تعد انتكاسة فريدة في تاريخ المنطقة بل وفي تاريخ العالم ٠

ان هذه النتائج بمضاعفاتها وتفاعلاتها جعلت مصائر الشعوب مهزوزة ، كما سلبت الثقة عن الالتزامات الدولية ووجود وفاعلية الرأي العام العالمي

وغيرت المعادلات السياسية والقيم المتداولة بين الشعوب ودول المنطقة ٠

ومن أخطر نتائج هذه الفاجعة ، كانت مسألة تشريد الشعب الفلسطيني ، ثم تجاهل حقوق هذا الشعب في وطنه وفي العيش الكريم مدة ربع قرن تقريبا ، مما جعل الشعب الفلسطيني يضطر لتحمل مسؤولية عودته الى الوطن وعودة الوطن اليه دون ان يعتبرها امانة في عنق احد أو سببا في تحركات المؤسسات الدولية والضمائر الحية في العالم ٠ وكانت المقاومة الفلسطينية ٠

وجاء بعد ذلك موقف الشعوب والدول العربية والعالم كله امام انتفاضة الشعب الفلسطيني ، وما في ذلك من تجارب محزنة وغنية ٠

وهنا ندرك مدى تأثير هذا العنصر على قيام حركة المحرومين وخياراتها وابعادها ، حتى ان ميثاق الحركة اعتبر قضية الشعب الفلسطيني هي في عقلها وقلبها ٠

ولا بد من اعتبار المحنة اللبنانية ، وهي من نتائج وجود اسرائيل ، من أهم العوامل المؤثرة في ضرورة انبثاق هذه الحركة وعدالتها ونموها ٠

وأخيرا فان الحركات الثورية المؤمنة التي انطلقت مؤخرا في اقطار العالم عامة وفي العالمين العربي

والاسلامي خاصة ، واطـــلاع اللبنانيـــين جميعا على تاريخها ونتائجهـا سيما بعـد ان فقدت الحركــات الماركسية رونقها الثوري والتقدمي والمناقبي ، بسبب التطورات العالمية وبعد أن استلمت هذه الحركــات مسؤوليات الحكم في ثلث العالم تقريبا ، كما ان تجربة الحركات الثورية المؤمنة ، الوطنية التحـــرر منها أو الاجتماعية السياسية مع تنوعها وتطوراتها احدثت تفاعلات كبرى في نفوس اللبنانيين ، سيما المحرومين منهم .

وبعد نصف قرن من تجربة الثورات العالميـــة الماركسية ومشتقاتها العربية تبين بصورة موضوعية ان هذه التجارب لا تتناسب مـــع أرضنا وتاريخنا ولا تحول انساننا الى ثائر حقيقي بالمعنى الصحيح ولذلك فانها لم تقدم خلال هذه المدة أيـــة خدمـــة وطنية سياسية او اجتماعية للناس كما لم تسجل اي موقف حقيقي لمصلحة العرب أمام اسرائيل ، ان لم تكن قد ميعت في بعض الاوقات مواقف الاخريـــن وساهمت بوجه أو باخر في التراجع العربي أمام اسرائيل .

اما موقف هـــذه الحركـات في المحنة الوطنيـة اللبنانية فأنه بحـــث ويبحث خـــلال التقييم العام للاحداث مرحلة مرحلة .

ثانيها : ان الايديولوجية التي تعتمدها الحركــة والتي استلهمت اسسها من التجربة التاريخية تؤكـد

ان توفـر القيادة الصالحـة والتنظيم هما عنصرا الاساس في نجاح كل حركة في العالم ٠

ووجدنا ان درجة المسؤولية لدى القائد تبلغ حـد الشهادة كما شاهدنا دقة التجربة التاريخية في انتقاء القائد حتى تكان ان تكون القيادة واقعا كونيا وخلقيا وليس انتخابا وتعيينا كمـا انـنا سوف ندرس بعض مواصفات قيادة الحركة في مرحلة تأسيسها ٠

اما الان فاننا نتوجه الى مبدأ التنظيم وضرورته في نجاح الثورة ٠

ان الفرد ، كل فـرد ، يملك مـن الطاقـات والكفاءات درجة محدودة مهما كان عبقريا ٠

والتنظيم ليس اضافة فرد أو أفراد الى الفرد لان ذلك أيضا لا يخرج الطاقات والكفاءات عن درجتها المحدودة ٠

ومن الكفاءات والطاقات المحدودة لا يمكن نجاح الثورة ، حيث أن طاقـات المنتفعين مـن الوضـع الاجتماعي القائم ومصالحهم وامكانياتهم التي تسخر لهم عناصر وطاقات اخرى تفوق طاقات الافراد مهما كثرت بالاضافة الى ان تملك زمام الامور والتحالفات القائمة بين المسلطين على الشعوب تجعل المعادلة في الصراع ضد مصلحة الثوار دائما ٠ ان الثورة تحتـاج الى طاقات تقلب المعادلات ٠

ان المطلوب في التنظيم ، والتنظيم هو الذي يحول الفرد الى الجماعة، وهو ان يصبح جميع الافراد بمنزلة جسم واحد كبير منتشر في كل مكـــان ، وان تتــوزع المسؤوليات على العناصر كما هي موزعة على اعضاء الجسم الواحد : فالعين مثلا لم تستلم مهمة الابصار بناء على التعيين او الانتخاب او التكليف بل لانـــه لا يمكن لاي عضو اخر ان يقوم بما تقوم به العين ، وهكـذا .

وهذا هو الوضع في الموجودات الطبيعية الكونية في العالم الواحد .

ولذلك فان المجتمع ـ كبيرا كان ام صغيرا ـ ينسجم وينجح ويخلد في العالم عندما يكون في الترابط وفي تقسيم المسؤوليات مثل الانسان الفرد ومثل الكـــون الكبـــير .

ولا شك ان درجة النجاح في انجاز مهمة التجمـع تعود الى مدى دقة التنظيم كما تعود الـــى سلامة الهـدف .

ان العمل التنظيمي بحق هو ترويض للفرد المنظم بحيث يصبح العضو اداة لا هدفا .

والهدف : هو الغاية التي مـــن اجلها انشيء التنظيم .

وتتفاعل الاداة بالهدف لتكون وحدة منسجمة في حياة العمل التنظيمي .

فانا لا اريد مثلا ان انتصر لنفسي ولمصلحتي على حساب التنظيم بل اريد الانتصار للتنظيم وجعله يتخطى العقبات التي تعترضه ·

ان العمل التنظيمي عمل جماعي لا عمل فردي وفيه تذوب الانا الذاتية في الانا الجماعية · مثلا ، اذا اخذنا العمل الرياضي ، فهناك فرق بين ان تكون الرياضة بين بطلين واحد منهم ينتصر على الاخر ، وبين ما يسمى بالفريق والفريق الاخر ، بالنسبة لفريق كرة السلة او فريق كرة القدم مثلا ، فالفريق كله هو الذي ينتصر او ينهزم ·

وهكذا لا يستطيع اي فريق رياضي ان يحقق الانتصار الا بعد ذوبان الانا الفردية من قبل العناصر المؤلف منها الفريق والاقتناع بان انتصار الفريق الجماعي هو انتصار فردي كذلك بل انه اوسع وأكبر ·

اجل ان اكثر ما يهذب الذات هي القيم التي تقهر الفرد طوعيا من اجل تربية الانا وتوجيهها في الجماعة والمجتمع ·

نحن نعلم نشأة الاسلام ، وكيف وزع الرسول (ص) الادوار على المسلمين الاوائل : فهناك الهجرة الاولى الى الحبشة ودورها في تعريف المحيط الجغرافي بالدعوة ·

- الهجرة الثانية ومبيت الامام علي على الفراش كي يسلم الرسول ·

- ورحيل الرسول وابي بكر ٠
- وقعة بدر ودور التنظيم والانصهار فيها الذي خلق الانتصار ٠
- وقعة احد وضياع الامتثال للرسول والهزيمة رغم وفرة العدد بسبب عدم الامتثال للمنظم ٠

العالم كله يشهد تاريخيا اهمية دور العمل التنظيمي فكان الياباني اكثر ولاء للوطن وخاصة في معركة « بيرل هاربر » ٠

الثورة الجزائرية عرفت التنظيم الصحيح حيث كان الشعار « كل شيء في خدمة الاستقلال » ٠

الخلية الجزائرية كان همها تلقي الاوامر دون ان تعلم من الآمر حتى لا يكتشف سر القيادة ، وبعد عمليات التعذيب التي كان يتعرض لها المتهم كان يقول بان الرسالة امرته « والحق على الرسالة » ٠

وقول الرسول : « ان يد الله مع الجماعة » ، مع الفهم الصحيح لكلمة يد الله ومفهومها اللانهائي الشامل يلقي الاضواء على اهمية ولادة الجماعة ٠

اما الآية الكريمة : **« قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى »** فان كلمة مثنى وهي رمز التجمع تسبق كلمة فرادى بعكس الترتيب الطبيعي

فلنعلم اذن ان عدم التنظيم يخلق بعثرة في الجهود ويفقد التخطيط قوته وفعاليته ومن هنا كانت ضرورة الاطاعة العسكرية والتنظيمية ٠

ولكن المدهش هو القسم الاخر من الآية :« ... **ثم تفكروا ما بصاحبكم من جنة** » ذلك ان اهداف الرسول المعلنة كما حصل في «غزوة الخندق» عندما قال الرسول: « ارى في الشرارة الصادرة عن كسر الاحجار قصور كسرى وقيصر » ، وغير المعلنة ، كانت تجعل لسان وآراء المنافقين والضعفاء لغير مصلحة الرسول وضد النهضة المحمدية حتى بلغ ذلك درجة اتهامه بالجنون.

فيقول القرآن الكريم : ان القيام الصحيح - لله جماعيا - اي منظما - وفرادى - اي مع صناعة الفرد لذاته هو الذي يحقق المعجزات فترون ان نبيكم ليس مجنونا في اهدافه ومطامحه .

وأوضح التعاليم القرآنية في مبدأ التنظيم هو الآية : « **والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا في الميزان** » حيث يجعل النظام الكوني رؤية اساسية للنظام الحياتي .

ويؤكد على وجود النظام الدقيق في الكون ، في السماء والارض ، ذلك لكي يحاول الانسان ان ينظم عمله اليومي وألا يخرج عن الموازين .

اما تاريخنا العام ، وبخاصة سلوك آل البيت ، فانه يضم نماذج تؤكد وجود التنظيم لديهم .

والسلام عليكم .

الطبعة الثالثة

شباط ١٩٩١ ـ رجب ١٤١١ هـ .




Umam
للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research



Umam
للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research